ملاحم القرآن

الشيخ ابراهيم الانصاري الزنجاني

محل بخش پاسارگاد صاحب الزمان تهران ۲۶۳۲

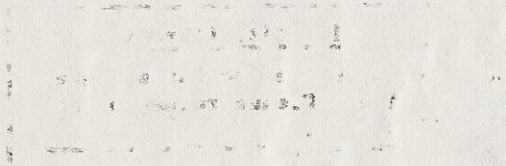

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

مَلاحم القرآن

الشيخ ابراهيم الانصاري الزنجاني

حقوق الطبع محفوظة

(RECAP)
BP130
.4
.A573
1980

الاهداء

حيث ان اكبر مفاخرنا انا نعيش تحت ظل عنايه صاحب الامر حجة ابن الحسن العسكرى عجل الله تعالى فرجه وان اعظم الملاحم الموجودة فى هذا الكتاب ما يرجع الى علائم ظهوره لهذا و لغيره من الاسباب اهدى هذا الكتاب الى سيدى و مولاى صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف قائلا يا ايها العزيز مسنا و اهلنا الضر و جئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل و تصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين.

قم المقدسة يوم المباهلة ٢٤ ذى الحجة ١٤٠٠

ابراهيم محمد الانصارى الزنجانى

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
2101 023053725

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذی له غیب السموات والارض، والیه یرجع الامر کله، عالم الغیب والشهادة، تعالی عما یشرکون. والصلوة والسلام علی رسوله و خاتم انبیائه، وآلـــه المعصومین الذین یخشون ربهم بالغیب و هم من الساعة مشفقون، اولئک علیهم صلوات من ربهم و رحمة، واولئک هم المفلحون واللعن الدائم علی اعدائهم و غاصبی حقوقهم و منکری فضائلهم الی یوم الدین.

مقدّمة

الغرض من تأليف الكتاب

فان الاخبار بالغيب ظاهرة قرآنية واضحة توكد صلته بالسماء و قد جاء الاخبار بالغيب فی مواضع كثيرة. يقول تعالى بعد ذكر قصة مريم . ذلک من انباء الغيب نوحيه اليک [1] و يقول . ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبی من رسله من يشاء [2] اى يختار من يشاء فيطلعه على الغيب كما ذكر الشيخ الطبرسی فی مجمع البيان .

و يقول ايضا . تلک من انباء الغيب نوحيها اليک ما كنت تعلمها انت ولاقومک من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين [3] . و يقول تعالى بعد ذكر قصة يوسف و اخوته . ذلک من انباء الغيب نوحيه اليک ، و ماكنت لديهم اذا جمعوا امرهم و هم يمكرون [4]

۱ـ آل عمران آية ۴۴

۲ـ آل عمران آية ۱۷۹

۳ـ هود آية ۴۹

۴ـ يوسف آية ۱۰۲

و قال ايضا . " و ما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين "[1] و قد مدح تعالى نفسه في الملاء الاعلى بقوله انى اعلم غيب السموات والارض و اعلم ما تبدون و ما تكتمون "[2] و مدح انبيائه بانه يطلعهم على الغيب في قوله " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول "[3] و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن يجتبى من رسله من يشاء[4] و مدح الامام بقوله و كلشيء احصيناه في امام مبين و المراد بكلشيء عالمي الغيب والشهاده .

و نظرا لكثرة الاخبار بالغيب و شدة كشفه عن النسب السماوى فقد عده اصحاب علم الكلام والمفسرون من جهات الاعجاز القرآني . بل ان فيهم من يرى الاعجاز منحصرا بذلك كما حكى عن النظام و اتباعه[5]

و قد قصدنا في هذا البحث الموجز لامرين

الاول ـ توضيح هذا الجانب الاعجازى للقرآن الكريم . . . و عرض الايات الدالة عليه و مقارنتها ببعضها .

الثاني اعطاء نظرة واضحة عن اخبار القرآن بما سيحدث او ماحدث و توضيح معالم ذلك . . . لاجل التاكد من عدم الحاجة الى تلفيقات القصاصين من اهل الكتاب والوضاعين وعاظ الخلفاء والسلاطين امثال قتاده و الشعبى و مقاتل و غيرهما ، بل الحاجة الى نفيها و محوها من الاذهان لانها لم تستند الى المصدر الاوثق ، و لم تاخذ في سلوك السبيل الاقوم بل اخذت من هذا و ذالك ، و حاكت ما يشبه الاساطير ارضاء لحس طلب الخرافة عند العامة والمترفين و هكذا يصدق عليهم قوله تعالى " و يقذفون بالغيب من مكان بعيد "

و لهذا كانت هذه التلفيقات سببا و موجبا للطعن من قبل المستشرقين في العلوم الاسلامية يقول جولد تسيهر في كتابه " المذاهب الاسلامية في التفسير "

(و هولاء المفسرون المطلقو التصرف ، الذين لم يتقيدوا بنظام معين و سعوا ايضا بنطاق المغازى حتى صارت تشمل آمال الاسلام المتاخرة واقحموا تاويل تحققها في

---

١ ـ النمل آية ١٧٥

٢ ـ البقره آية ٣٣

٣ ـ العمران آية ١٧٩

٤ ـ الجن ٢٦

٥ ـ مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٧١

القرآن على انه من التنبوء بالغيب ، و هكذا روى من مقاتل السابق الذكر انه وجد فى الآية من سورة الاسراء " و ان من قريه الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا " اشارة الى فتح القسطنطنية!! و الى تدمير الاندلس)

و اننا لنلاحظ ان كتب ما يسمى بـ " الملاحم " من امثال مقاتل " ابن سليمان " قد امتلات بالغث من القصص والاخبارات التى ما انزل الله بها من سلطان ، و التى لاتمتلك اى سند له صلاحية الحديث عنها ، او انها تروى عن النبى (ص) بروايات ضعيفة السند فى الغالب . . .

و قد كان فشل تلك التنبؤات الكاذبة المجعولة عن الاثبات حين يحل الاجل المضروب لحصول النبوءة سببا فى تكون ركام من التخرصات والتأولات و نسبتها الى النبى (ص) رغبة فى تنزيه السالفين من المؤلفين من الكذب والوضع .

و هكذا عاد هذا الموضوع من اكثر المواضيع التى نفذ اليها الكذب و التخرص والجعل . . . مما يوجب على الباحث الموضوعى ان لايتقبل اى شيء منها الا بعد تحقيق دقيق ، و بحث عميق ، فلا يكفى احتمال الصدق ولاينفع الحمل على الصحة وغيره .

و قد اعتمدنا فى استنتاجاتنا على ما ثبتت حجيته بالقطع كالظهورات المستنده الى اللغة و غيره من العلوم الادبية ، و استندنا الى القرائن التى تكتنف الآية المبحوث عنها او التى توجد فى آية اخرى و تلقى ضوءا على الآية السابقة .

كل ذلك مع طرح كل الظنون والتخرصات العارية عن الدليل ، فان الظن لايغنى من الحق شيئا .

والله نسال ان يهدينا سواء السبيل .

ابحاث فی معنی الغیب فی القرآن

البحث الاول ما هو الغیب

اعلم ان الغیب فی القرآن الکریم یطلق علی معان ثلث .

الاول عالم الغیب مقابل عالم الشهادة ، و المراد بعالم الغیب . العالم الذی یکون جمیع مافیها من الموجودات خارجا عن حدود المحسوسات ، لابان یکون دون الحس کما فی الجن والامور الاعتباریة ، والانتزاعیة التی لایمکن احساسها لکونها دون الحس . بل من جهة کونها فوق الحس ، و اعظم من ان تناله الحس ، و تحیط به القوی المادیه لتجردها و عظم وجودها ، مثل الملئکة و سائر الموجودات المجردة .

و هذا المعنی هو الذی تمدح تبارک و تعالی نفسه فی مواضع من کتابه بقوله عالم الغیب والشهادة . و هذا هو الذی اعتبر الایمان به فی صحة الایمان او کماله و هذا مثل الایمان بالله و الملئکة والجنة والنار و عالم البرزخ و سایر ما یعتبر الایمان به فی الاسلام الصحیح کما فی قوله تعالی الذین یومنون بالغیب و یقیمون الصلوة . . . "

الثانی غیب الشیء بمعنی باطنه مقابل ظاهره ، فان کل موجود له ظاهر و باطن شهادة و غیب ، فالحواس الظاهریه تدرک المادة الظاهره من الاشیاء ، ولاتنفی وجود جهة اخری تکون ارق والطف واعظم من الحس ، نعم ربما تدرک بواطن الاشیاء فی النوم ، و نحوه من الحالات التی یتخلص الروح من البدن ، فیری الظالم بشکل الذئب ، والمکار علی هیئه الثعلب ، والمتلون المنافق بشکل الوزغ ، والمال بشکل النجاسة ، و العلم بشکل الماء واللبن ، والامام بشکل المَلِک و السلطان ، کما هو غیب هذه الاشیاء وبواطنها .

الثالث الغیب بمعنی الغایب عن الحواس الظاهریة ، اعنی السمع و البصر والذوق والشم واللمس ، و هذا ادون معانی الغیب ، و من هنا اطلق الغیب فی القرآن علی الامور ، التی هی محسوسه بذاتها ، و لکنها غیر محسوس بالنسبه الی شخص خاص لبعده المکانی والزمانی او عدم توجهه او لوجود حائل بینه و بین ذلک المحسوس ، .

البحث الثاني معنى الاخبار عن الغيب

ذكرنا ان " الغيب " ما غاب عن الحواس، فلا طريق حسي اليه بلا فرق بين القريب والبعيد و من هنا كان الاخبار عما في الارحام من الغيب و ذلك في مثل قوله تعالى

" ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الارحام و ما تدري نفس ماذا تكسب غدا و ما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير "[1]

فقد ورد في تفسير الاية ان الخمسة المذكورة فيها من علم الغيب .

اما اخبار الفلكي مثلا عن الاجرام السماوية و حركتها و ما يجري فيها فليس اخبارا بالغيب ـ كما هو واضح ـ لانه يعتمد على الوسائل الحسية كالمراصد والتلسكوبات و غيرها في معرفة ذلك .

ولافرق على هذا بين الاخبار عن الماضي بلا توسط امور حسية و بين الاخبار عن الحال و المستقبل .

فعن الماضي يقول تعالى في قصة مريم " ذلك من انباء الغيب "[2] و في الحال يقول تعالى للملائكة " الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون "

و عن المستقبل يقول تعالى

" افرايت الذي كفر بآياتنا و قال لاوتين مالا و ولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا "

فالمقياس في كون الاخبار اخبارا عن الغيب ، هو عدم استناده الى واسطة حسية لاقرب الزمان او المكان او بعده .

فالاخبار عن الامس بلا سماع اورؤية اخبار عن الغيب . والاخبار عن كيفية بدء الخليقة استنادا الى القرآن الكريم و الروايات الشريفة ليس من انباء الغيب . . . هكذا يكون الحال في من يخبر عما هو تحت قدميه بلا واسطة حسية فانه من الغيب ، و من يخبر عن اقصى نقاط الشرق والغرب مستندا اليها ، فانه ليس اخبارا عن الغيب .

١ـ سورة لقمان آية ٣٤

٢ـ سورة آل عمران آية ٤٤

و هكذا علم ان الغيب اذا اطلق فى القرآن امكن ان يراد بها الاعم من الماضى والحال و المستقبل بالقرائن الحالية او المقالية المتوفرة ، ولكن اذا اطلق اللفظ بلاقيد كان المراد به الاخبار عن المغيبات التى ستقع فى المستقبل ، و هذا هو مركز بحثنا هنا .

والمقياس فى ذلك تاخر المخبر به و لو لفترة قصيرة جدا عن وقت الاخبار و هو نزول الاية الكريمة المتضمنة له ، ولايشترط فيه مثلا ان يكون راجعا الى ما بعد وفاته (ص) او الى اخبار المهدى (ع) او متعلقا باشراط الساعة ، بل يعم جميع ذالك وغيرها .

والاخبار عن المستقبل فى القرآن على ثلاثة انواع من حيث التحقق .

النوع الاول و هو مالا سبيل الى انكار صدقه و تحققه و ذلك من مثل الاخبار عن غلبة الروم على فارس فى بضع سنين ، والاخبار عن حفظه (ص) من اذى اعدائه وانتصاره عليهم ، والاخبار عن ان الذى فرض عليه القرآن لراده الى معاد " و هو مكه ، و كذلك الاخبار عن مصير اليهود كما فى قوله تعالى " و اذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب " اوالاخبار عن مكائد اليهود ضد المسلمين كما فى قوله تعالى لاتزال تطلع على خائنه منهم و غير ذلك مما تحقق معه مضمون الايه بكل وضوح .

النوع الثانى . و هو ما علم وقوع الخبر فيه لاعن طريق ظهور للاية فى تعيينه بل قد عينته الروايات او المفسرون و ذلك من قبيل ماورد فى تفسير قوله تعالى .

" انا كفيناك المستهزئين " من تطبيقهم على بعض الاشخاص الذين قاموا بهذا العمل ثم هلكوا .

و من الطبيعى ان من لايقبل حجية الرواية الخاصة بالمورد او قول المفسرين سوف لايتاكد من التحقق فى مثل هذا .

النوع الثالث . ما فسر بامر لم يقع بعد و ذلك من مثل قوله تعالى " حتى اذا فتحت ياجوج و ماجوج و هم من كل حدب ينسلون "

و التصديق بمضمون هذه الايات امر تعبدى يختص بالمومنين اما غيرهم فلايمكن ان تشكل هذه الايات حجة لديه .

البحث الثالث شبهة قوية وجوابها

هناك آيات من القرآن واحاديث فى نهج البلاغة و غيره ينفى علم الغيب عن غيره تعالى كقوله تعالى عالم الغيب فلايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية و قوله تعالى و ماكان الله ليطلعكم على الغيب و لكن يجتبى من رسله من يشاء الايه [2] قل لااقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب الاية [3]

و قوله تعالى و عنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو الاية [4] قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الاالله الاية [5].

شدة لحن النفى ، و عموم متعلقه لايقبل الانكار ، ولكن هل هذه الايات بصدد انكار اطلاع فرد من البشر على امر ليس له طريق حسى اليه مطلقا؟ و هل بصدد تكذيب ما ورد من اخبار نبيا و ساير الانبياء عليهم السلام و ائمتنا المعصومين (ع) عن المغيبات؟ كلا ثم حاشا

فما هو المراد من الايات؟

الجواب

ربما يتوهم ان هذه الايات عامة و قد خرج منها الانبياء بسبب الاستثناء فى قوله تعالى الا من ارتضى من رسول و شبه الاستثناء فى قوله ولكن يجتبى من رسله من يشاء فيوحى الايه و غيرهما مما ورد فى الايات والاخبار.

والتحقيق فى الجواب ان الغيب مالم يكن اليه طريق حسى من السمع و البصر واللمس و غيرهما سواء كان هذا الطريق الحسى ممكنا لكل احد او خاصا به فلنفترض ان احدا يخبر عن اوضاع الكرة الجوية و ما فيها من الجبال و المياه و غيرها مما لايدركه

١ــ سورة الجن آية ٢٦
٢ــ سورة العمران آية ١٧٩
٣ــ الانعام آية ٥٠
٤ــ الانعام آية ٥٩
٥ ــ النمل آية ٦٥

بصر عادى بواسطة التلسكوب او يخبر عن وجود غدّة او جرح او غيره فى احشاء المريض بواسطة النظارات الطبية او يخبر عن الذرات الارضية الغير المرئية بالمكبرات القوية او نحو ذلك مما يجعل الاحساس بهذه الاشياء منحصرا بمن يملك هذه الوسائل و يتمكن من الاستعانة بها فحينئذ لايعد العالم بهذه الاشياء عالما بالغيب ولايكون طريقه هذا خارجا عن طرق الحس، بل هو داخل فى طرق الاحساس غاية الامر طريق حسى منحصر بشخص او اشخاص.

واظهر منه لوفرضنا ان احدا ينظر الى داخل غرفة من ثقبة يعرفها هو دون غيره فيخبر عن داخل الغرفة بمالايراه غيره فان هذا ليس من علم الغيب بل هو من العلوم الحسية الخاصة ببعض الافراد.

وهكذا علم النبى او الولى بما غاب عن غيرهما بسبب ماحضهما الله تعالى من المزايا و ما فضل بعض الناس على بعض فاخبرهما عن الامور الغائبة مما مضى او ما سياتى او ماهو مستور عن غيرهما من الامور الحالية فصارا عالمين باعلام الله تعالى.

او جعل لهما عينا يرى مامضى و ما سياتى كما يرى الحاضر الموجود و يرى وراء الحجب المادية كما يرى غير المحجوب فهذا ليس من علم الغيب فى الواقع بل من قبيل الشهادة والحس غاية الامر احساس مخصوص باشخاص معينين لانحصار طريقة او آلة احساسه بهم او لعدم اعلام الله تعالى غيرهم و تفضيلهم بذلك على غيرهم.

وملخص القول انه كما ان العلم بشىء باعلام غير الله تعالى خارج عن علم الغيب كذلك العلم به باعلامه تعالى من ارتضى من رسول او من يجتبى من رسله من يشاء فيوحى اليه من انباء الغيب و كما يقول تعالى و لنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين فهو يعترف بانه لايعلم شيئا من عنده و يقول سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت علام الغيوب ويعترف بتذلل و خضوع بقوله تعلم مافى نفسى ولااعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب.

فهذا ليس من علم الغيب فى اصطلاح القرآن و انكان يطلق عليه علم الغيب فى اصطلاح العامة و بعض العلماء اذ لانزاع لنا فى الالفاظ والاصطلاحات بل المعانى و المرادات. فان الغيب الذى لايعلمه غير الله هو ان يعلم احد و يطلع على ماهو غايب عن جميع حواسه من دون استمداد من الله او من ملك او نبى او ولى فهذا هو الذى ينفى عن كل ماسوى الله تعالى حتى عن اشرف الانبياء فى قوله تعالى قل لااقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب الايه وقوله و لو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير

و ما مسنی السوء الایة [1] و غیر ذلک .

و هذا هو الذی تبرئت الملئکه من ادعائه بقولهم سبحانک لاعلم لنا و اعترف عیسی (ع) بقوله ولا اعلم مافی نفسک .

و هذا هو الذی لایقبل التخصیص اصلا لاختصاصه بذاته المقدسة من دون ان یشترک معه ملک او نبی او ولی او غیرهم و هذا هو الذی یکفر من اثبته لغیرالله فانه علم بلاتعلیم الله و رؤیة بلا ارائة الله والحاصل استقلال فی مقابل ذاته المقدسة .

و اما العلم الذی یکون مستندا الی الوحی و الی تعلیمه تعالی اما بلا واسطة او بواسطة ملک او نبی او وصی نبی فهذا لیس من علم الغیب الذی ینفی عن غیر الله تعالی ولیس اثباته لغیرالله تعالی کفرا او شرکا او مخالفا لشیء من الآیات والروایات فانه علم بتعلیم الله و رؤیة مستنده الی ارائته فکانهم بسبب اخلاصهم فی عبادة الله تعالی وتقواه وصلوا الی حد صارالله تعالی معلمهم کما یقول اتقوا الله ویعلمکم الله و کانهم عبدوا الله حتی صاروا کما فی الحدیث القدسی کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصربه و یده الذی یبطش به و طبیعی ان من سمع بالله لایخفی علیه صوت مما مضی او ما سیاتی او ما بعد اوغیر ذلک .

و من ابصر بالله لایغیب عن عینه شیء مما مضی او ما سیأتی او ماکان وراء حائل و من علّمه الله یعلّمه مالایمکن تعلّمه من طریق العلوم البشریة المتعارفة کما ان من بطش بیدالله لایغلب و یقلع الباب الذی عجرت عن هزّه اربعون شخصا ویعمل اعمالا فوق ذلک ولکن بقوة ربانیة لابقوة جسدانیة .

ولاضیر فیه فان انکاره انکار لقدرة الله و علمه .

و من هذا القبیل الاستثناء فی قوله تعالی الا من ارتضی من رسول و فی قوله تعالی و لکن یجتبی من رسله من یشاء و قوله تعالی تلک من انباء الغیب نوحیه الیک . و قول عیسی (ع) و انبئکم بما تاکلون و ما تدخرون فی بیوتکم الایة [2] و منه علم مریم بما فی بطنه و بمستقبل امره یقول الملئکة یامریم ان یبشرک بکلمه منه اسمه المسیح عیسی بن مریم وجیها فی الدنیا والاخرة و من المقربین و یکلم الناس فی المهد و کهلا و من الصالحین [3]

۱ــ سورة الاعراف آیة ۱۸۸

۲ــ آل عمران ۴۹

۳ــ العمران آیه ۴۱

و منه اطلاع ابراهيم و امرأته بولادة اسحق و يعقوب بقوله تعالى فبشرناها باسحق و من وراء اسحق يعقوب [١] و منه قوله تعالى في يوسف و اوحينا اليه لتنبئهم بامرهم هذا وهم لايشعرون [٢] و منه قوله تعالى مخاطبا لام موسى لاتخافي ولاتحزني انا رادّوه اليك و جاعلوه من المرسلين [٣] فصارت عالمة بمستقبل امره من رجوعه اليه و بلوغه مقام الرسالة الالهية.

١ــ هود آية ٧٥

٢ــ سورة يوسف آية ١٦

٣ــ سورة القصص آية ٧

البحث الرّابع دور الاسرائيليّات في الملاحم

و مما يجدر التنبيه به هنا انا في بحث الاسرائيليات حينما قسمناها الى اقسامها المذكوره هناك راينا ان من المسائل التي وجد الاسرائيليون المجال الواسع لنشر الاكاذيب و الخرافات هي مسئله الملاحم فنرى ابطال الاسرائيليات مثل كعب الاحبار و وهب بن منبه وابن جُريج و اضرابهم توسعوا هنا اكثر وامهل من اى باب آخر.

و ذلك لان الماضي يوجد من يطلع عليه فيظهر كذب المتخرصين واما المستقبل فالاشخاص العاديين لايطلعون عليه حتى يعرفوا كذب الكاذب و صدق الصادق فيناسب لامثال كعب من اليهود و غيرهم الخوض في الامور المغيبة بطمأنينة و امن من التكذيب كما يقول تعالى و يقذفون بالغيب من مكان بعيد.

و من الغريب ما صدر عن السيد الجليل ابن طاووس في كتابه الملاحم في شان كعب و تخرصاته لاجل تقله شيئا من فضائل على حينما كان سوقه رائجا او كان مستمعوه من شيعته او اراد جلبهم اليه كما صدر نظيره احيانا من جميع النواصب حينما رأوا الأكثرية مائلة الى اهل البيت و كان الجوّ مساعدا و سوق اهل الولاية رائجا فكان انصب الناس عداوة لاهل البيت و اشدهم بغضا لال محمد يتظاهر بولائهم و يروى شيئا من فضائلهم رياء و سمعة و هو يبطن الكفر و النفاق والعداوة لآل محمد و محبة اعدائهم من الخلفاء و حكام الجور الغاصبين حقوقهم من الجبت والطاغوت واتباعهما.

فكل ماصدر عن اعدائهم مثل الخلفاء الاولين او عن عمر بن عبدالعزيز او المأمون او الرواة و العلماء المحشورين معهم اضراب كعب الاحبار و عبدالله بن عمر و عمرو بن العاص و ابوهريره و عايشه و معاوية و سعد بن ابي وقاص و ابوحنيفة والشافعي و احمد بن حنبل والنسائي وابن ابي الحديد وعدة من المصنفين في زماننا

و اغرب من تعريفه للرجل دفاعه قده عن تخرصاته بالغيب بقوله و لعل بعض ما يذكرونه عنهما من الملاحم التي يحتمل انها عن مولانا على ولم يسندوها اليه تقية الخ

اقول ظاهر الاخبار عن شيء الاطلاع الشخصي الا مع التصريح بالواسطة فاذا قال القائل جاء زيد فظاهره اطلاعه شخصا على مجيئ زيد لانقله له عن غيره و مجرد الاحتمال الذى يعد ملغى عند العقلاء لا يعتنى به ولايثبت بالاحتمال شيء

مضافا الى ان نقل خبر عن علي لم يكن ممنوعا في زمن الخلفاء بل كانوا هم يتظاهرون بالنقل ولو فرضنا فالحمل على التقية بعد ثبوت تشيعه وبعد اليقين بانه لايتخرص على الغيب من عنده واما اثبات تشيعه بادعاء التقيه فهذا دور ظاهر.

واما قوله لماولي علي الخلافة الخ.

اقول. فيه اولا ان الرواية لاسند لها ورواتها مجهولة مضافا الى جهالة حال الشيباني مولف الكتاب.

وثانيا يحتمل ان يكون اخباره عن مستقبل امر علي (ع) علمه بخصوصيات حالات اهل العراق وانهم اهل المكر والغدر والنفاق والشقاق مثل اخبار جماعة عن مستقبل امر الحسين حين اراد السفر الى العراق.

او يكون سمعه من النبي (ص) او من علي نفسه ما يدل عليه او رآه في الكتب السابقة فلايدل على شي.

وثالثا ان قوله انه منا اهل البيت ...)

لعل مرجع الضمير في قوله انه كلام عبدالله بن سلام لاهو نفسه فيكون المعنى ان كلامه هذا من كلامنا وانه اخذه منا اهل البيت او انه في كلامه هذا يريد نصيحتنا وخيرنا فهو منا فعلا لادائما والا فلوكان منهم مثل سلمان لم يكن ينهى الامام عن ارادته ولاتخلف عنه في جميع مواقفه كما هوالماثور عن هذين اليهوديين.

واما اخباره عن الصلح فكما ذكرنا في اخباره عن قتل علي (ع)

واما اخباره عن اثر قتل النبي واثر قتل الخليفه فلعله شي رآه في الكتب السابقه او تخرصه من عنده بلاعلم.

واما انه لم يذكر مثله في قتل الخلفاء قبل علي (ع) فلعله لم يصل الينا وقد وصل في قتل عثمان كما روى السيوطي في تاريخ الخلفاء عن عبدالرزاق في مصنفه عن عبدين هلال انه قال ان عبدالله بن سلام كان يدخل على محاصري عثمان فيقول لاتقتلوه فوالله لايقتله احد الا لقي الله اجذم لايدله وان سيف الله لم يزل مغمودا وانكم والله ان قتلتموه ليسلّنه الله ثم لايغمده عنكم ابدا وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا، ولاخليفة الاقتل به خمسة وثلثون الفا قبل ان يجتمعوا.

واما مارواه لاثبات ان كعب الاحبار من خواص علي (ع) فمن غرائب الامر اولا لجهالة الكتاب وجهالة الرواية وارسالها

وثانيا ما نقل من الحواريين علي وعمر وان عليا (ع) صدق عمر في انكاره

اسلام كعب كذب قطعا لمخالفته لمسلمات الاسلام فان من اسلم لايسال عن سبب تاخيره كما لم يسئل عن غير كعب ممن اسلم في عهد الخلفاء الا ان يكون على (ع) يعلم كذب كعب في دعواه الاسلام .

و ثالثا ان تبين ما في التوراه اعني ظهور محمد و بعده على و بعده فاطمه وبعده شبر و بعده شبير ان اريد وصول الخلافة والامامة اليهم فلم تصل في زمن عمر ولابعده و ان اريد اصل وجود هولاء الخمسة فكانوا موجودين في زمن النبي و زمن ابي بكر فما معنى قوله" انما تربصت حتى ابتين ما في التوراة) " مع انه لم يتبين شيء بعد .

و كيف كان فتامل حتى يكون عندك مقياس يمكنك من تشخيص المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب و تامل حتى تعثر على مكايد الاسرائيليين في الاسلام و التشيع وتظاهرهم بهما احيانا و لنشرع في ابواب الكتاب بحول الله الوهاب .

١

التنبؤ حول القرآن

نروم البحث في هذا الفصل عن حفظ الله تعالى كتابه الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كيفية ابقائه عليه في الايام التي تلي حياة الرسول حتى قيام الساعة، و سيكون البحث منقسما الى قسمين. يتناول القسم الاول عدم قدرة البشر على معارضته والاتيان بمثله، والقسم الثاني عدم تسرب التحريف اليه.

اما القسم الاول فقد وردت فيه آيات منها

١ـ قوله تعالى " و ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين× فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين "[١]

اكثر النحاة على ان "لن" لتابيد النفي، و على هذا فمقتضى قوله تعالى " و لن تفعلوا " انهم لايقدرون على معارضة القرآن حتى الابد. و هذا من جملة المغيبات التي اخبر عنها القرآن الكريم، اذ نجد في صحائف التاريخ كثيرا من الذين حاولوا معارضة القرآن و كان نصيبهم الفشل و مصيرهم الفضيحة، لان هؤلاء بالاضافة الى اثبات عدم قدرتهم على المعارضه اتوا بكلام مهلهل لايساوى ادون كلمات العرب و اقلها.

انه معجزة من معاجز كلام الله العزيز، يدعو كافة الناس لمعارضته و يحثهم على الاتيان ولو بمثل سورة من سوره و يقول لهم بصراحة فيما يقول. انكم عاجزون عن ذلك عجزا باتا حتى آخر الزمن. ترى انه طلب بسيط للغاية، انه يطلب الاتيان ولو بمثل سورة

١ـ سورة البقرة آية ٢٣ـ٢٤

الكوثر او التوحيد اللتين هما اقصر السور القرآنيه ، و لكن المعارض يرجع خالى اليدين صفر الكفين لايملك شيئا غير الفضيحة والعجز .

هذا الحث المتواصل فى آيات القرآن ، و المعارضات التى قام بها عديد من الفصحاء ، والقوى المناوئه التى تجمعت مضادة للايات الكريمة . . . كل هذه تدل دلاله واضحه ليس فيها شك ان كتاب الله ليس من صنع البشر والا لنجحت المساعى و استراح المعارضون .

٢ــ قوله تعالى "و يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين "[١]

يختلج فى الذهن سئوال حول هذه الاية الكريمة يجب طرحه ثم الاجابة عنه ، والسئوال هو:اليس تحدى القرآن بايتان سورة واحدة ــ كما وقع فى سورتى البقرة ويونس ــ كان كافيا عن التحدى بايتان عشر سور كما فى الاية السالفة الذكر او التحدى بايتان مثل كل القرآن ، كما فى سورة الاسراء ؟ لو كان الانسان عاجزا عن الايتان بمثل سورة واحدة فهو عاجز بطريق اولى عن الايتان بمثل عشر سور او بمثل القرآن كله .

الجواب عن هذا السئوال . ربما يظن بعض من لاعلم له او يدعى فى مقام المعارضة ان صُدفة من الصدف تسبب الاتيان بسورة هى غاية فى الفصاحة و البلاغة ، و ربما كان الرسول فى ساعة من ساعاته صافى الذهن فارغ البال تمكن فيها من انشاء سورة تجمع شروط البلاغه باعلى مراتبها ، بحيث لم يتسن لغيره الوصول الى تلك الدرجة العالية والمرتبة السامية ، و خاصه لوكان الكلام حول سورة قصيرة كسورتى التوحيد والكوثر . . اما عشر سور من القرآن او القرآن كله لاياتى فيه مثل هذا الظن والاحتمال ، ولايمكن القول بان النبى هو الذى انشاء كل هذه الايات والسور ، لان الصدفة لاتتكرر دائما ومالا يكون سجية لايمكن الايتان به فى كل الحالات . اذن ليس ما فى الدفتين الامن عندالله تعالى لايقدر البشر على الاتيان بمثله او بمثل بعضه .

ان قلت . هذا الجواب يصح لو اريد بالتحدى سورة خاصة من سور القرآن ، اما لو اريد سورة ما من غير تعيين سورة خاصة لكان التحدى بكل واحدة واحدة من السور ولازم هذا ان كل فرد من افراد السور لاعلى التعيين خارق للعاده و خارج عن قدرة البشر .

قلنا . اولا التحدى بسورة مامن السور هو عين فرض سور كثيرة كلو احد منها فى

١ــ سورة هود آية ١٣

حد الاعجاز كما هو المفروض في الاية و ثانيا احتمال الصدفة و ان فرض مندفعا بما ذكر الا ان التحدى بعشر سور او بالقرآن كله ربما يشير الى ان الهيئه التركيبيه للمجموع من حيث المجموع لها مزايا هى ايضا بدورها خارجة عن قدرة البشر، و هذا بالاضافه الى ما لكل سورة من السور من المزايا و الخصوصيات التى لايمكن للبشر الوصول اليها.

٣ـ قوله تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذاالقرآن لاياتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا "[١]

نضيف الى ماذكرنا فى الجواب عن الاشكال الذى مر فى الاية السابقة حول وقوع التحدى بكل القرآن مع التحدى ببعضه:

لولم يكن القرآن معجزا فى مجموعه التركيبى من جهة تنظيم سوره و ترتيبها و كيفية دخل هذا التنظيم الخاص فى الفرض الذى انزل من اجله، و كان اعجازه فى كل سورة سورة على حده من دون التفات الى التنسيق الذى نشاهده فى وضع كل سورة فى مكان معين... لولم يكن كل هذا لكان مجالا ليقول المعارض. لوكان القرآن من عند الله كما تزعمون لكان لمجموع السور غرض وحداني يترتب على ترتيب السور بنحو خاص وكان معجزا فى هيئته التركيبة كما انه معجز فى كل سورة من سوره.

دفعا لهذا الاعتراض جاء التحدى بالايتان بمثل كل القرآن، كما وقع التحدى بالايتان بعشر سور او بسورة واحدة.

ولابد من بعض التوسع فى الجواب، فنقول. ان وجه الاعجاز الذى نبثته للقرآن الكريم هو الكمالات التى يشتمل عليها، والتحدى نفسه من جمله تلك الكمالات، و يمكن تقسيم مزيه كل كتاب على كتاب آخر الى اقسام.

منها ـ ماهو مخصوص بباب او فصل او سورة او آيه، والاخبار عن المغيبات من هذا النوع، فاننا لانجد تلك الاخبار فى كل سورة او آية، بل نلمسها فى بعض الايات خاصة.

و منها ـ مايعم كل الايات والسور، كالفصاحة والبلاغة والكشف عن الحقائق الراهنة والموضوعات التى لايتسرب اليها الشك والريب وتبتعد عن الاباطيل والخرافات المخالفة للعقل. فى مثل هذه المزيه يغنى التحدى بالبعض عن التحدى بالكل.

و منها ـ مزايا يتصف بها المجموع من حيث المجموع من دون نظر الى كل آية

١ـ سورة الاسراء آية ٨٧

آية او سورة سورة، و ذلک مثل المزايا المذكورة فی قوله تعالی " لارطب ولايابس الا فی كتاب مبين " و قوله تعالی " ولايأتونک بمثل الاجئناک بالحق واحسن تفسيرا " و قوله تعالی " ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " و امثال هذه الايات . فان اشتمال القرآن علی جميع العلوم او ايتانه من كل مثل باحسنه او عدم تناقض بعضه مع بعض امور يتصف بها المجموع من حيث المجموع ولاتخص البعض، اذ ليس سورة من القرآن او عشر سور منه مشتملا علی كل رطب ويابس او علی كل مثل ، كما انه ليس خلو سورة منه او عشر سور مثل خلو جميعه عن الاختلاف والتناقض، اذ ليس من المستحيل ان ياتی شخص بسورة او عشر سور خاليه من التناقض والاختلاف ، بخلاف كتاب كبير كالقرآن الكريم .

ذكر سيدنا الاستاذ دام ظله فی تفسير القيم " الميزان " ان من مزايا القرآن النظم الذی سار عليه والترتيب الذی اوجده بين السور والايات ، و كذا بين السور الصغار والحواميم ، و ترتيبها علی المئين ، و تقديمها علی السور الطوال . و بعباره اخری . ان ترتيب العشرات علی العشرات مع قطع النظر عن ترتيب آيات السور او الترتيب الموجود بين سورة وسورة اذا لاحظنا كل عشر سور من القرآن ، ان لهذا الترتيب مزية مهمة جدا بالاضافه الی ماذكر من المزايا سابقا . و قد اشتمل عليها القرآن و تحدی بها و اخبر عن عجز جميع الجن والانس عن الاتيان بمثله الی الابد . و كان كما اخبر سبحانه و تعالی ، فان احدا من المعارضين لم يتمكن عن الايتان بمثله حتی الوقت الحاضر .

واما القسم الثانی من الايات التی اخبرت عن مستقبل القرآن فهی التی ترجع الی الاخبار عن عجز البشر عن تحريفه ، و هی :

١ــ قوله تعالی " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [١]

قال فی مجمع البيان . الذكر هو القرآن ، والحفظ عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير ــ عن ابن عباس . و قيل . معناه متكفل بحفظه الی آخر الدهر علی ما هو عليه ، فتتقله الامه و تحفظه عصرا بعد عصر الی يوم القيامه . و قيل . يحفظه من كيد المشركين ، فلايمكنهم ابطاله ولايندرس ولاينسی .

اقول . لاتنافی بين هذه المعانی ، بل يمكن ارادة جميعها ، اذ لو عرض واحد من هذه العوارض لايصدق انه تعالی حفظ القرآن ، فاللازم حفظه عن التحريف بكل اقسامه

١ــ سورة الحجر آية ٩

كما ان اللازم حفظ القرآن نفسه بشياع نقله و قراءته و تدريسه والاحتفاظ على علومه عن الضياع والاندراس و قد وقع جميع هذه الاخبارات كما اخبر عنه القرآن الكريم.

٢ـ قوله تعالى " و اتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحدا "[١]

هذه الآية شبيهة بقوله تعالى في آية اخرى " لاياتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه " في التصريح على نفي التحريف في القرآن الكريم الى الابد، بل هذه اظهر من تلك الآية في الموضوع.

ان قلت. يريد تعالى بالكلمات معاينها، و معنى تبديلها تغيير ما اخبر عزوجل فيه ـ كما عن مجمع البيان.

قلنا. ان "الكلمة" ظاهرة في نفس اللفظ، ولايرفع اليد عن الظاهر مالم تقم قرينة عقلية او لفظية على خلافه، على انه لامنافاة بين المعنيين، فتدل الاية على نفي التحريف في الفاظه والتبديل في احكامه.

٣ـ قوله تعالى " و تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته و هو السميع العليم "[٢]

ذكر المفسرون في تفسير " الكلمة " وجوها اظهرها ان يرادبها احكام الدين، فيكون اخبار القرآن عن تمامه و عدم نقص فيه. و معنى هذا انه لايمكن ان ياتي بعده دين اكمل و نظام اشمل حتى يكون ناسخا لهذا الدين والنظام، بل لايمكن ان يوجدفيه ما يخالف العدل و الحق، او مايكون فيه الظلم والحيف.

و قد ظهر مع الايام صدق هذه الدعوى و حقيقتها، اذلم يتمكن احد من البشر او جماعة من الناس ان ياتوا بنظام يكون ارقى واوفى للبشرية جمعاء، و تجتمع على كماله و تفوقه الامم باسرها، ويظهر شموله و كفايته بعدالتجربة والاختبار.

و يمكن ان نفسر " الكلمه " بالقرآن الكريم، فيكون المعنى ان التبديل والتحريف لايدخلان فيه ابدا، و هذا معنى لاباس به ذكره بعض المفسرين. و عليه فالاية الكريمة تشتمل على اخبار غيبي مهم، و هو ان اعداء القرآن مع جهودهم المتظافرة و سيطرة بعضهم على الحكم، بل دخول بعضهم في الدين وقبولهم الاسلام لفرض التلاعب فيه،

١ـ سورة الكهف آية ٢٧

٢ـ سورة الانعام آية ١١٥

مع كل هذه العوامل لم يتمكن الاعداء من تبديله او تحريفه. نعم هذا خبر غيبي يعتبر معجزا من معاجز القرآن الكريم، اذ راينا مع مرور الزمن اناسا حاولوا المس من كرامته بتبديل بعض آياته او تحريفها فلم يفلحوا في ذلك.

٤ـ قوله تعالى " ولاياتونك بمثل الاجئناك بالحق و احسن تفسيرا "[٢]

الضمير في " لاياتون " راجع الى الكفار، ولايختص بالكفار الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل يعم جميع الكفار في كل العصور. و عليه فقد اشتملت الاية المباركة على تحدٍ واخبار عن المستقبل، لان المعنى ان الكفار كلما ياتون بمثل من الامثلة في اى عصر من العصور فالقرآن يشتمل على احسن منه.

و " المثل " مايقرب المعنى البعيد الى الفهم و يجلوه امام الذهن حتى يتصوره الانسان او يصدّق به. اما ما يكون سببا للتصور فكان يضرب مثلا من شيء يشبه في بعض الجهات مع ما يريد تقريبه الى الذهن فيكون التصور قريبا الى الذهن، و اما ما يكون سببا للتصديق فبان يقدم بعض المقدمات و يهيىء ذهن السامع للتقبل ثم ياتي بما يشبه مايويد تقريبه ويكون التصديق به مسلما ثم ياخذ النتيجة المطلوبة.

ولو امعنا النظر في الايات القرآنية لوجدنا هذه الظاهرة في كل موضوع يراد منه اثبات شيء ما على احسن مايرام، فكل مايحاول القرآن اثباته يهيىء له اولا كل المقدمات الكلامية التي لابد منها ثم يدخل في صلب الموضوع و يستنتج النتيجة المطلوبه.

ولايمكننا في هذه العجاله استيعاب كل المحاولات القرآنية التي هي من هذا القبيل، ولكن لاباس بذكر مثال واحد يظهر منه هذا الاتجاه العلمي العميق، قال تعالى " ان الانسان خلق هلوعا × اذا مسه الشر جزوعا × و اذا مسه الخير منوعا × الا المصلين "[٢]

هذه محاولة لتصوير حالة المؤمن واطمئنانه النفسي، ولابد من تقديم مقدمة ثم الدخول في صلب الموضوع حتى يدرك السامع حالة المؤمن تمام الادراك، وليس احسن من ذكر ان الانسان في اضطراب نفسي دائم عند مايصيبه الخير والشر على السواء، ثم التخلص الى النتيجه المطلوبه، وهي ان هذا الاضطراب يزول عند ما يحل الايمان في قلب الانسان فيتوجه الى الصلاه والزكاه والمعاد وغيرها من الامور التي تذكر تباعا.

١ـ سورة الفرقان آية ٣٣

٢ـ سورة المعارج آية ١٩ـ ٢٢

٢

التنبؤ حول الاسلام ومستقبله

في القرآن الكريم آيات تدل دلالة واضحة على ان المستقبل المشرق للاسلام وحده ، و هو دين الله المختار الغالب في آخر الاشواط، واليك فيما يلي بعض هاتيك الايات .

١ـ قوله تعالى . " كتب الله لاغلبن انا و رسلي ان الله قوى عزيز "[١]

المراد بالغلبة المومى اليها في هذه الاية هو غلبة دين الله عزوجل على بقية الاديان والمذاهب الباطلة، اذ من الواضح البين ان الله تعالى ليس في ميدان حرب و مغالبة و مقاتلة حتى تكون النتيجة معه او مع خصمه ، بل ليس لاحد ان يقاومه في صقع الربوبية ، وله سبحانه الغلبة التامة في كل مايشاء ويريد فيكون المراد من غلبته تعالى غلبة دينه و نجاحه .

و قد ذهب بعض المفسرين الى ان الغلبة بمعنى غلبة الحجة والبرهان ، و لكن لايناسب هذا التفسير ماجاء في آخر الاية من قوله تعالى " ان الله قوى عزيز " ، بل كان المناسب ان يقول " عليم حكيم " او مايشبهه كما يشهد به الذوق السليم . هذا بالاضافة الى انه لامنافاة بين ارادة المعنيين معا ، الغلبة الظاهرية والغلبة المعنوية .

٢ـ قوله تعالى . " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين× انهم لهم المنصورون "[٢]

هذه الاية تشير الى وعد سابق للمؤمنين بالنصر والغلبه ، وهو اما قوله تعالى

١ـ سورة المجادلة آية ٢١

٢ـ سورة الصافات آية ١٢٤

" كتب الله لاغلبن انا ورسلى " اوقوله تعالى " الا ان حزب الله هم الغالبون "اوما اشبهها من الوعود السابقه اوانه وعدمضى فى الكتب السابقه.

وكيفما كان فى الاية اخبار عن غلبة الاسلام على سائر الاديان غلبة مطلقة، وحيث ان الغلبة المطلقة لم تتحقق حتى الان يمكن القول بانها اشاره الى قضية سوف تتحقق فى المستقبل ،ولايبعد ان تكون تلك القضية هى ظهور المهدى الموعود ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣ـ قوله تعالى " انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد "[١]

مفاد هذه الاية الكريمة نظير مفاد الايتين السابقتين، فهى تؤكد عون الله تعالى فى دعوة المرسلين و مساعدته لانبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ان قلت. كثير من الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين قد غلبوا على امرهم ولاقوا من اممهم انواع التعذيب والاهانات، و على سبيل المثال لاالحصر نذكر ماجرى على الحسين بن على عليهما السلام، فكيف يتفق هذا مع ما فى الايات الكريمة؟

قلنا. المراد غلبة العقيدة وسيطرة الدين، و هذا ليس معناه غلبة صاحب العقيدة والمرسل بالدين، اذ ربما المغلوبية التى تلحق الانبياء والمرسلين تكون سببا لغلبة اديانهم ومبادئهم، كما ان غلبة الكفار ربما تستوجب زوالهم و فناءهم، فالنصر الذى وعده الله تعالى لعباده المؤمنين انما هو بهذا المعنى، اى غلبة عقيدتهم على سائر العقايد الباطلة، ولو غلبوا هم انفسهم فى حياتهم.

واحسن شاهد على ماقلناه هو نجاح الامام الحسين بن على عليه السلام فى دعوته و نهضته واخفاق كل مساعى بنى امية فى اطفاء نور آل البيت، مع ما كان بملكه بنو امية من القدرة والسطوة والسيطرة، و مع غلبة يزيد على الحسين فى ساحة كربلاء الدامية.

٤ـ قوله تعالى. " ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم "[٢]

ان مقتضى مفهوم الشرط فى قوله تعالى " ان تنصروا الله ينصركم " هو ان المؤمنين ان لم ينصروا فان الله تعالى لاينصرهم بل يخذلهم، فالاية وعد بمنطوقها

١ـ سورة المومن آية ٥١

٢ـ سورة محمد آية ٧

وعيد بمفهومها . و نظير هذه الاية ما في قوله عز شانه " ولاتهنوا ولاتحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مومنين " .

٥ ـ قوله تعالى " هوالذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون "[٢]

ظن البعض ان الوعد الذى تضمنته هذه الاية المباركة قد تحقق فى فترة من الزمن ، اذ ملك المسلمون نواصى الحكم على شرق العالم و غربه و رفرف لواء الاسلام الخفاق على الدنيا و تكونت الدولة الاسلامية الكبرى بعد زمن الرسول ، و خاصة فى عصرهارون الرشيد الذى كان يتأمر على المشارق والمغارب ، و وصل المسلمون فى تلك الفتره الى القمة الشامخة من الحكم والسيطرة والسيادة ، واشرق نور الاسلام على المجموعة البشرية فى كل مكان .

هكذا يقول بعض الناس ولكنه ليس بصحيح ، بل الصحيح ان هذا الوعد ينطبق على ظهور المهدى الموعود ودولته . والدليل على ان الغلبة الموعودة فى هذه الاية ليست ماذكروا .

اولا ـ ان الغلبة التى حصلت بيد هولاء الخلفاء لم يطبق فيها الاسلام الصحيح بل لم يطبق الخلفاء انفسهم القوانين الاسلامية تطبيقا كاملا شاملا ، فانهم كانوا يقترفون جميع انواع الذنوب والمآثم من الظلم والعدوان وارتكاب سائر المحرمات والمناهى ، فكيف يكون هولاء الفجار ـ والحالة هذه ـ مصداقا للاية الشريفة ؟

ثانيا ـ ان غلبتهم لم تكن على اقطار الارض بكاملها بحيث لم يبق قطر تحت سيطرة شخص غير الخلفاء ، والدين الاسلامى لم يحكم الحكم البات على سائر الاديان بحيث يمحوها ويبقى هوالدين الوحيد المتبع ، بل كان كثير من الاقطار لم تتسرب اليها الحكومة الاسلامية . اضف الى كل هذا ان غلبة المسلمين على المناطق التى احتلوها لم تدم اكثر من قرنين ولم تستقر كما وعدالله تبارك و تعالى .

والظاهر من قوله تعالى " ليظهره " انه غاية نهائية للاسلام ، اى سيطرته سيطرة تامة و استقرار الى الابد . ولوفسر بسيطرته بعض الايام ثم زواله لكان لغوا .

---

٢ ـ سورة الفتح آية ٢٨

٣

التنبؤ حول مستقبل النبي الاعظم ص

الفصول السابقة والايات المذكورة فيها كانت كلها راجعة الى العقائد و المبادى و اما فيما سياتى فانه سنذكر مايرجع الى بعض الاشخاص اوالاصناف ، ونبداء بماجاء فى النبى الاعظم صلى الله عليه وآله والملاحم الراجعة اليه ، و يراد من هاتيك الملاحم ماكان مستقبلا بالنسبة الى زمان نزول الاية ولو تحقق الخبر فى حياته (ص) و وقعت الحوادث قبل موته ، والايات هى .

١ــ قوله تعالى . " فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا و ان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم "[١]

الذى يترقب من توليهم و شقاقهم احد امرين . اولا ان يسعوا فى قمع الاسلام والمنع من نفوذه فى العالم ، والثانى ايصال الاذى الى الرسول نفسه . واى واحد من المعنيين اردنا فقد وقع فى الخارج كما اخبر به القرآن .

اما الاسلام فقد احبط مساعى اليهود والنصارى فى ذلك الزمان و تقدم تقدما سريعا جدا بالرغم من المقاومات الشديده التى جوبه بها من قبل الكفار . و اما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتمكن الكفار من ايصال الاذى اليه مع حرصهم على اذيته وشدة عداوتهم له ولرسالته . كل ذلك لانه تعالى وعد بكف الاعداء عن الاسلام و نبى الاسلام .

٢ــ قوله تعالى . " انا كفيناك المستهزئين "[٢]

١ــ سورة البقرة آية ١٣٧

٢ــ سورة الحجر آية ٩٥

هذه الاية كالاية السابقة تخبر عن كفايه شر المستهزئين و عدم قدرتهم على اخماد نور النبوة مهماجدوا فى ذلک واتعبوا انفسهم . و قدكان الامر كما اخبر به القرآن الكريم ، فان النبى صلى‌الله عليه‌وآله قد زادت قدرته و عظمته كلما مضت الايام و لم ينل اعداؤه امانيهم فى اخماد نوره ، مع الحروب التى اثاروها و الموانع التى اوجدوها امام‌الدعوة الاسلامية ، بل كانت الغلبة للرسول (ص) في آخر الاشواط وكانوا هم المغلوبين .

هذا اذا مالاحظنا ظاهر الاية و عمومها ، و اما مورد نزولها فقد جاء فى مجمع البيان ان المراد بالمستهزئين خمسة من قريش هم العاص بن وائل ابوعمروبن العاص والوليدبن المغيرة وابوزمعة الاسودبن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس. و قيل كانوا ستة‌سادسهم الحارث بن الطلاطلة ، و هولاء كلهم هلكوا بعد نزول هذه الاية بقليل ، وكان هلاكهم فى‌غاية الذل والهوان على تفصيل ذكره فى‌مجمع البيان .

و من هذا نعرف ان الاية فى مورد نزولها ايضا مشتمله على ملحمة غيبية‌كشفتها الايام .

و لو رجعنا الى التاريخ و تصفحناه بعض‌التصفح و عرفنا ما كان عليه قريش و غيرهم من سائر العرب فى بالغ عداوتهم للنبى و تدابيرهم الكثيرة لقتله و اهلاكه ، لعرفنا ان‌الاخبار الموجودة‌فى‌هذه الاية لم يكن الامن علام الغيوب ، والكفاية والتسديد لم يكونا الامن قبله تبارک و تعالى ، اذالاسباب العادية كانت تهدد الرسول كل يوم بالخطر المحدق به وبالقتل المنتظر .

٣ـ قوله تعالى " ان الذى فرض عليک القرآن لرادک الى معاد قل ربى اعلم من جاء بالهدى و من هو فى ضلال مبين " [١]

ذكر فى مجمع البيان ان النبى صلى‌الله عليه وآله لما نزل بالجحفة فى مسيره الى المدينه عند هجرته اليها اشتاق الى مكة ، فاتاه جبرئيل فقال . اتشتاق الى بلدک و مولدک؟ فقال . نعم . قال جبرئيل . فان‌الله تعالى يقول " ان الذى فرض عليک‌القرآن لرادک الى معاد " ـ الخبر و كان ظاهر الحال يقتضى عدم امكان رجوعه لضعفه (ص)وقوة اعدائه .

اقول . فى هذا دلالة على صحة نبوة النبى (ص) ، لانه اخبر من غير شرط

١ـ سورة القصص آية ٨٥

واستثناء ، و جاء الخبر مطابقا للخبر حينما فتح مكة و دخلها في السنة التاسعة.

٤ـ قوله تعالى . " انا اعطيناك الكوثر× فصل لربك وانحر× ان شانئك هو الابتر "[١]

لقد ذكر المفسرون وجوها كثيرة في معنى الكوثر بعضها واضح الفساد ، ذكروا انه بمعنى كثرة الذرية او كثرة الاصحاب والاتباع او انه نهر او حوض في الجنة يسمى بالكوثر او انه فاطمة (ع) والاحسن ان المفهوم من اللفظ هو الخير الكثير ، و هذه المعاني ليست من مفهوم اللفظ بل يراد به بعضها او احدها .

والقرائن الخارجية والداخلية تدل على ان المراد من لفظ الكوثر هو كثرة الذرية. اما القرينة الخارجية فهي ماذكروا في شان نزول السورة من ان العاص بن وائل اباعمروبن العاص كان يقول ان محمدا لاعقب له يموت فنستريح منه و يدرس دينه فنزلت السورة جوابا له وتسلية للنبي . واما القرينة الداخلية فهي قوله تعالى " ان شانئك هو الابتر" والابتر من لاعقب له على الاصح ، ولاتناسب هذه الاية مع ارادة الاصحاب او الحوض بل المناسب معها هو كثرة الذرية كما ذكرنا في شان النزول . واستنادا على هذا فسر بعض السورة بالزهراء فاطمة عليها السلام ، اذلم يبق للنبي ذرية الامنها .

و بناء على هذا التفسير تشتمل الاية الكريمة على ملحمتين من الملاحم القرآنية الغيبية هما .

الاولى ـ الاخبار عن كثرة ذرية النبي و نسله مع انه لم يكن للنبي (ص) حينئذ الا بنت واحدة هي الزهراء . و كان الامر كما اخبر القرآن ، اذ اصبح اكثر الناس نسلا واوفرهم ذرية ولايوجد لاحد من الناس من الذرية الكثيره بمثل ماله (ص) .

الثانية. الاخبار عن انقطاع نسل عدوه و انه ابتر لاعقب له ، اذ لم يبق على وجه الارض منهم احد ، فانك لاتجد في العرب من ينسب الى العاص بن وائل ، فضلا عن ان يكون له عشيرة او تنسب له ذرية كثيرة.

هذا ، وماذكر في معنى الكوثر من انه حوض اونهر فمعنى صحيح و لكنه ليس بتفسير بل هو تاويل و ذكر للبطنون ، و هو نظير تفسير طوبى في قوله تعالى " طوبى له و حسن مآب " بشجرة طوبى مع انها كلمة تمجيد و تعظيم ، و كذا تفسير كلمة " ويل لهم " بواد في جهنم مع انها كلمة تقال للتعنيف والذم فهذه التفاسير وماشابهها ليست معان لظاهر الايات بل هي ذكر لبواطنها و تاويل يعرف من الروايات او اقول المفسرين .

١ـ سورة الكوثر آية ١ـ٣

و مما یضحک الثکلی مارواه الالوسی عن عایشة انها قالت . هو ای الکوثر نهر فی الجنة عمقه سبعون الف فرسخ مائة اشد بیاضا من اللبن واحلی من العسل شاطآه الدر والیاقوت والزبرجد خص الله تعالی به نبیه محمدا (ص) من بین الانبیاء . وقالت لیس احد یدخل اصبعیه فی اذنیه الا سمع خریر ذالک النهر . قال الالوسی و هو علی التشبیه البلیغ " [1] اقول الجملة الاخیرة من الروایة لیس تشبیها بل اشارة الی مایسمعه الانسان من الصوت عند ما یدخل اصبعه فی اذنه ولکن این هذا الصوت من الکوثر سبحانک هذا بهتان عظیم

قوله تعالی " فقاتل فی سبیل الله لاتکلف الا نفسک عسی الله ان یکف باس الذین کفروا والله اشد باسا واشد تنکیلا " [2]

قال فی مجمع البیان ان الایه نزلت فی ابی سفیان حیث انه لما رجع الی مکه یوم احد واعد رسول الله (ص) موسم بدر الصغری و هو سوق تقوم فی ذی القعده ، فلما بلغ النبی (ص) المیعاد قال للناس اخرجوا ، فثاقلوا و لم یخرجوا ، فخرج رسول الله (ص) فی سبعین راکبا حتی اتی موسم بدر فکفاهم الله باس العدو ولم یوافهم ابوسفیان و لم یقع قتال یومئذ ، و انصرف رسول الله (ص) بمن معه سالمین کما اخبرت عنه الآیة الکریمه "

ولوحملنا الایه علی العموم کما هو ظاهرها ، بان یکون وعدا عاما من الله تعالی لرسوله بانه سیحفظه من شر الکفار فی جمیع عمره فصحیح ایضا لانه تعالی کف عنه (ص) باسهم الی آخر عمره فلم یتمکنوا من ایصال ضرر مهم الیه ولاصار مغلوبا بل رفع ذکره یوما بعد یوم .

قوله تعالی (لقد صدق الله رسوله للرویا بالحق لتدخلن المسجد الحرام آمنین محلقین رئوسکم و مقصرین لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذالک فتحا قریبا " [3]

روی انه (ص) رای فی المنام انه (ص) مع اصحابه دخلوا مکة فطافوا وسعوا فاخبر بذلک اصحابه فحسبوا انهم داخلون فی تلک السنه فلما انصرفوا ولم یدخلوا مکة قال المنافقون . ماحلقنا ولاقصرنا ولادخلنا المسجد الحرام . فانزل الله هذه الایة و اخبر انهم سیدخلونها فی العام المقبل واقسم علی ذالک .

١ــ تفسیر الالوسی سورة الکوثر

٢ــ النسا آیة ٨٤

٣ــ سوره الفتح آیة ٢٧

و روى عن عمر ابن الخطاب انه قال ما شككت فى نبوة محمد (ص) قط مثل ما شككت فى يوم الحديبية. فلهذا جاء الى رسول الله (ص) فقال . الم تعدنا ان ندخل المسجد الحرام و نطوف ونسعى . قال النبى (ص) اَوَ فى هذه السنة وعدتكم قال لا قال (ص) فستدخلونها فى العام المقبل ، فزال عند ذالک شک عمر على ما اخبر هو عن نفسه والله اعلم . و كيفما كان فقد تحقق مضمون هذا الخبر عند فتح مكة فانهم دخلوا المسجد الحرام وطافوا وسعوا محلقين رؤسهم و مقصّرين غير خائفين .

٤

التنبؤ حول علي عليه السلام

الايات النازلة في شان اميرالمومنين على بن ابيطالب عليه السلام كثيرة لايسع هذا المختصر ذكر جميعها ، والتى نختارها من تلك الايات هى :

١ـ قوله تعالى . " يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم "[١]

ذهب اكثر الشيعة الى ان الايه الكريمة نزلت فى على عليه السلام ، واختار اكثر العامة نزولها فى ابى بكر ، وفيها اقوال اخرى سنأتى على ذكرها فيما بعد ، اما الذى يهمنا الآن فهو البحث فى الآية الكريمة على ضوء القولين المشهورين ، و ذلك عن طريق مسآلة الآية نفسها والنظر فى الآيات الاخرى والاحاديث الواردة فى تفسيرها لكى يتضح الحق ويجلوا الواقع ، فنقول .

ذكرالله تعالى فى هذه الاية انه سوف يأتى بقوم حين يرتد بعض المسلمين ، ثم وصف القوم باوصاف يجب الوقوف عند هذه الاوصاف ليتبين المراد من هذه الكلمة " القوم "

(الوصف الاول) ـ قوله تعالى " يحبّهم ويحبّونه " والمعلوم الذى لايقبل الجدل ان اصل الوصفين موجود فى كل واحد من المؤمنين ، فان كل مؤمن يحبّ الله تعالى ويحبّه الله ، فاذن ليس المراد هذا المقدار من الحبّ الذى يوجد فى كل المؤمنين ، بل المراد

١ـ مائده ٥٤

حبّاً زائداً على المقدار المعهود في النفوس المؤمنة. و حملنا الآية على المقدار الزائد من المحبة المتبادلة بين الله والعبد لئلا يلزم الترجيح بمالايكون مرجحا ،فان المباهاة التي يباهي بها الله تعالى لابد و ان تحمل على مرتبة مخصوصة فوق هذه المراتب الموجودة عند الكل حتى يصان كلامه تعالى عن اللغو والهذر.

و هنا ياتي الدور للكلام حول حبّ علي لله وحبّ ابي بكر له تعالى و حبّ الله لعلي ولابي بكر، و ان ايّهما يمتاز على الاخر بالحبّين. و تسهل عملية الموازنة المذكورة اذا علمنا ان الله عز شانه قد ذكر لهذه العملية ميزانا خاصا يمكن الوقوف به على حقيقة الامر وواقعه، و ذلك عند ما قال عز من قائل " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله". فمحبة العبد لله تعالى و محبة الله للعبد تكمن وراء اتباع النبي والاخذ باوامره و نواهيه و ماجاء من عندالله، و من الواضح البيّن ان عليا عليه السلام كان اشدّ اتباعا للنبي من ابي بكر لان المتابعة تتوقف على العلم بسيرة المتبوع حتى يمكن السير على ضوئها، وعلى عليه السلام كان اعلم بسيرة الرسول من ابي بكر، لان النبي صلى الله عليه وآله علم عليًا الف باب من العلم و بيّن له حكم كل باب و اخبره بكل واقعة تحدث في المستقبل والحكم الذي يتبع الوقائع، كما ان عليا عليه السلام كان يخبر انه لايعمل في شيء من القضايا باجتهاده بل بنص وارد من الرسول. و مع علمنا بان عليا لم يعمل في كل واقعة الابما نص عليه الرسول ندرك بانه عليه السلام لم يجهل شيئا من الاحكام الاسلامية، و من هذا نستنتج ان الرسول اخبره بجميع الاحكام و كان متابعا اشدّ المتابعة للنبي في جميع افعاله. و هذا بخلاف ابي بكر الذي اعترف بجهله في مواضع، منها قوله " اما الفاكهه فنعرفها و اما الاب فالله اعلم"، كما اعترف انه يعمل بآرائه دون سيرة النبي حيث قال " اقول فيها برأيي فان اصبت فمن الله و ان اخطأت فمني ومن الشيطان " و قد اعترف ايضا بانه يفتي بخلاف حكم الله تعالى حيث قال " و ان اخطأت فمني و من الشيطان " و حيث قال في مناسبة اخرى " ان لي شيطانا يعتريني فاذا اصبت فاعينوني و اذا زغت فقوموني". و من الواضح ان متابعة الشيطان لاتجتمع مع متابعة الرسول او مع متابعة الزيغ والجهل والمعترف بهما في كلام ابي بكر.

و مما يدل على مباينة سيرة ابي بكر لسيرة النبي (ص) ما جاء في قصة الشورى ان عبدالرحمن بن عوف طلب من علي و عثمان العمل بسيرة النبي والشيخين فابى علي العمل بسيرتهما ورضي بسيرة الرسول، و لوكانت سيرتهما مستوحاة من سيرة النبي لم يبق مكان لهذا الطلب من عبدالرحمن والرد من علي، فان قول عبدالرحمن " ابايعك على

کتاب الله و سنه رسول الله و سیرة الشیخین " صریح فی ان لهما سیرة غیر مستقاة من الکتاب والسنة ، والالم یکن معنی لهذا الخلاف بین علی و عبدالرحمن . من هذا الاخذ والرد نستنتج ان علیا کان اشد اتباعا للنبی من ابی بکر ، فیکون احب لله تعالی لقوله عز من قائل " قل ان کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله " .

هذا کله استنتاج عقلی من الآیة الکریمة ، و اما من طریق الحدیث والروایة فیکفینا ماروا ه الخاصة والعامة من قول النبی صلی الله علیه وآله فی غزوة خیبر " لأعطین الرأیه غداً رجلاً یحب الله ورسوله ویحبه الله ورسوله کرّار غیر فرّار " ، ثم اعطی الرأیة علیا علیه السلام بعد ما فرّ ابوبکر مع اصحابه وعمر مع اصحابه . و لولاحظنا هذا الکلام بشیء من التروّی والامعان لرأینا ان فیه شیئاً من التعریض بالنسبة الی الذین تقدموا علی علی و فرّوا من جبهة الحرب وانهم لایحبّون الله ولایحبّهم الله ، اذ لم یسبق ان وصف النبی احدا من المحاربین بهذه الاوصاف الخاصه قبل ذلک الموقف الرهیب الذی کان نصیب غیر علی الفرار منه .

و من الآیات التی یمکن الاستدلال بها علی اشدّیة حب الله تعالی لعلی (ع) قوله تعالی " ان الله یحبّ الذین یقاتلون فی سبیله صفاً کانهم بنیان مرصوص " . قد اجمع المؤرخون علی انّ علیا علیه السلام لم یفرقط من حرب مهما کان شدتها علی النفوس و کان اکثر المسلمین جهادا فی سبیل الله والذّبّ عن الرسول ، کما انهم ذکروا ان ابابکر فر یوم الخندق و یوم حنین و یوم خیبر ، ولاجدال ان الذی ثبت فی الحروب کلها احب الی الله من الذین فرّوا فی الحروب .

و دلیل عقلی رصین یمکن اقامته علی ان علیاً احب لله تعالی من ابی بکر و اشباهه وهو مایحدثنا به المؤرخون والرواة من توفر اوصاف الکمال فی علی من العلم والزهد والشجاعة والبلاغة و غیرهما ، فان هذه نعم معنویة جسام لایجمعها الله تعالی الا فیمن یحبه ، واما المال والریاسة وغیرهما من الاعتبارات الدنیویة فلیس توفرها فی الشخص من علامات محبة الله له اذا لم یکن من بوارد النقمة والسخط ، کما ان محبة العبد لله تعالی القیام بکل ما یحبه الله تعالی و العمل باوامره و نواهیه بلاتوان او قصور ، و تعلیق المحبة الی الذات فی قوله تعالی " یحبهم " دلیل علی ان الله تعالی یحبهم من جمیع جهاتهم ، کما ان قوله " یحبونه " ایضا دلیل علی ان محبتهم لله فی جمیع ما یقومون به من الاعمال ، ولازم هذا عدم صدور ذنب منهم ، اذ لو صدر لکانوا مبغوضین و لم یصح اطلاق " یحبهم " و " یحبونه " ، فلازم هذا الاطلاق عصمتهم من الذنوب و المعاصی کلها

والمعصوم الذى لم تبدر منه بوادر الذنب والمعصية هو على دون ابى بكر.

(الوصف الثاني) ـ قوله تعالى. " اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين".

يراد من الذلة تارة التواضع والتراحم فتكون الاية مثل قوله تعالى " اشداء على الكفار رحماء بينهم " و هذا وصف محبوب لاينافي عزة صاحبه، واخرى يراد منها حقارة النفس وخساستها و هي لاتوجد فى المؤمن لقوله تعالى " وللهالعزة و لرسوله وللمومنين " و ملخص معنى الاية الكريمة ان الله تعالى يأتى بعد ارتداد الناس بقوم هم متواضعون للمؤمنين مشفقون عليهم وشديدوا الوطاة على الكافرين عزيزوا النفس امامهم لايخضعون لهم ابدا.

ولورجعنا الى ماذكرناه قبيل هذا لنجد ان مصداق الاية ليس الاعلى بن ابى طالب عليه السلام، اذ كان اشد مايكون على الكافرين فى الحروب كما كان رحيما متواضعا مع المؤمنين، اما ابوبكر فلم يعرف عنه الشدة فى الحروب ولم يعهد منه مواجهة الكافرين.

(الوصف الثالث) ـ قوله تعالى. " يجاهدون فى سبيل الله".

هذا الوصف ينطبق ايضا تمام الانطباق على على عليه السلام، اما مباشرة فلانه كان مقداما فى جميع الحروب يواجه العدو ويبادله الطعن والضرب، واما تسبيبا فلانه كان قائدا للجيش يحرضهم على الحرب فى زمن الرسول وبعده. و اما ابوبكر فلم يعرف منه الا التسبيب فى حروب اهل الردة، و هذا وحده لايجعله مصداقا للمجاهد فى سبيل الله ولوكان هذا وحده كافيا لكان حسان بن ثابت الشاعر الشهير من اشد الناس جهادا، اذكان محرضا و مسببا قويا للحث على الجهاد بما قال من الشعر، بل بعض النساء كان لهن دورهن فى التحريض على قتال الكافرين. فكمالايصح اطلاق المجاهد على هولاء لايصح اطلاقه ايضا على ابى بكر و امثاله.

(الوصف الرابع) ـ قوله تعالى " ولايخافون فى الله لومة لائم".

و هذا الوصف ايضا ينطبق تمام الانطباق على على عليه السلام دون غيره اذقام بحرب الناكثين والقاسطين والمارقين وعرض نفسه للوم اللائمين ولم يخف السنة الناس اذلم يقم بماقام به الا اطاعة لله تعالى.

كان حربه الاولى مع زوج الرسول عائشه ام المؤمنين و طلحة والزبير حواريى النبى و من على شاكلتهم من اهل البصرة الذى كانوا يدّعون الاسلام، و مثل هذه لابد وان تطلق السنة البسطاء والقشريين الذين لاينظرون الى الاشياء بنظر الواقع والحق.

و اما حربه الثانية فكانت مع معاوية بن ابى سفيان قريب الرسول و جماعة كثيرة ممّن يدعى الاسلام ، و كان معاوية ايضا يدعى بمطالبة دم عثمان والاخذ بثاره و فى رؤساء جيش على من شارك فى قتل عثمان . و كان هذا مما يسبب التقوّل و توجيه اللوم على على و اصحابه .

و اما الحرب الثالثة فكانت مع جماعة من المسلمين تظهر غاية الزهد والتقوى والاعراض عن الملاذ والشهوات ، وهى تالية للقرآن الكريم آناء الليل واطراف النهار .

وهذه الحروب مع ظروفها الحرجة وملابساتها لو كانت لغيره من الخلفاء لما تمكنوا من المضى فى تحقيقها ولكان نصيبهم الفشل ، الا انه عليه السلام لم يخف فى الله لومة لائم وقولة متقول وجاهد الناكثين والقاسطين والمارقين ولوسميت بمسلمين مادام كان مقصدها الكفر وتحطيم قواعد الاسلام .

و اما حروب اهل الردة والروم و فارس فلم تكن الا لبسط السيطرة وكانت الاغلبية الساحقة من المشاركين فيها ممن لم يحفزهم الاسلام على الحرب ، و مثل هذه الحروب لم تجر لوما فلم تنطبق عليها الآية الكريمة .

(الوصف الخامس) ــ قوله تعالى " فسوف ياتى الله بقوم "

الظاهر من كلمه " يأتى " وتنكير " قوم " والايتان بلفظه " سوف " تاخر ايتان هولاء القوم و مغايرتهم للمخاطبين الموجودين حال الخطاب ، و هذا ينطبق على اصحاب على عليه السلام الذين كان اكثرهم من الشباب الذين لم يكونوا وقت الخطاب بموجودين و قد اسلموا بعد ذلك ، كما ان وقت نهضته عليه السلام كان متاخرا ايضا الذى يناسب التعبير بالاستقبال وكلمه سوف .

و هذا بخلاف ابى بكر واصحابه الذينهم نفس المخاطبين الا النادر منهم ، وكان اللازم اذا اريد هولاء ان يقال " فسوف يقيض الله قوما منكم " وما اشبه هذا ، و هذا كما اذا كان بحضرة الامير جماعة فيقول لهم " من يخالفنى منكم فسوف ياتينى جماعة لايخالفوننى " فانه لايشك احد انه اراد غير الحاضرين .

و قد روى تفسيرها بعلى عليه السلام عن حذيفة و عمار و ابن عباس وابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام ، كما روى عن على انه قال يوم الجمل " والله ما قوتل اهل هذه الاية حتى اليوم " و تلا هذه الاية .

و روى ايضا عن تفسير الثعلبى بالاسناد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال . سيرد علىّ قوم من اصحابى يوم القيامه فيجلون عن

الحوض فاقول یارب اصحابی اصحابی ، فیقال انک لاعلم لک بما احدثوا من بعدک انهم ارتدوا علی ادبارهم القهقری .

(تتمه) ـ قد ورد فی بعض الروایات ان الآیة نزلت فی اهل ایران و اهل الیمن ، و هذا لاینافی ماذکرنا من حملها علی علی و اصحابه ، اذ اکثر اصحاب علی کانوا من الموالی او من اهل الیمن .

والاولی ان نحمل الآیه الکریمة علی عمومها ، و ان المؤمنین فی ای بلد وفی ای زمان اذا رجعوا عن الدین فالله تعالی یاتی بقوم صفتهم کذا و کذا . نعم مورد نزولها علی علیه السلام وهو واصحابه والحجة المنتظر واصحابه اظهر مصادیقها .

۲ـ قوله تعالی . " ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات سیجعل لهم الرحمن ودا "[۱]

ذکرفی مجمع البیان وجوها فی تفسیرها و اختار ان تکون خاصة بعلی علیه السلام اذ مامن مؤمن الاوفی قلبه محبة علی بن ابیطالب کما عن ابن عباس ، و فی تفسیر ابی حمزة الثمالی عن ابی جعفر الباقر علیه السلام قال . قال رسول الله لعلی . قل اللهم اجعل لی عندک عهدا واجعل لی فی قلوب المؤمنین ودا ، فقالهما علی فنزلت هذه الآیة ، و روی نحوه عن جابر الانصاری .

و من المعلوم الواضح انه لایخلو احد من المؤمنین عن کون ودّه فی قلوب جماعة من المؤمنین ، و هذا موضوع لایختص بعلی علیه السلام بل هو عام لکل واحد من المومنین اذن ما معنی طلب الرسول من علی ان یدعو الله فی ان یجعل وده فی قلوب المؤمنین ؟ لابد ان یکون هذا الود نوعا خاصا یمتاز عن الاخرین ولایشترک فیه شخص آخرولایحصل لغیره من المومنین ، ولولاحظنا الموضوع بعین البصیره لرأینا ان الامر کذلک ، اذوده سار فی قلوب کل المؤمنین ولیس کالود الذی یکمنه بعض المؤمنین الی الخلفاء غیر علی دون البعض الاخر من المؤمنین ، ولم یجمع الأمّة الاسلامیة من الشیعة والسنة علی وده ومحبته کما اجمعت علی ود علی و محبته و وجوب اطاعته .

۳ـ قوله تعالی ـ قل للمخلفین من الاعراب ستدعون الی قوم اولی باس شدید تقاتلونهم اویسلمون فان تطیعوا یوتکم الله اجرا حسنا و ان تتولوا کما تولیتم من قبل

۱ـ سورة مریم آیة ۹۷

يعذبكم عذابا اليما "[1]

قوله " ستدعون " فعل مجهول وفی فاعله المحذوف اقوال

الاول ـ انه النبی صلی الله علیه وآله ، اختاره الطبرسی فی مجمع البيان والشيخ المفيد فی كتاب الافصاح . و يرد هذا القول ظاهر نسبة الدعوة الی مجهول ، ولو كان القائل هو الداعی لقال " سادعوكم الی قوم " . هذا مضافا الی انه اتی بسين الاستقبال الذی يدل علی احتياج مضی زمان حتی تتحقق هذه الدعوة .

الثانی ـ انه ابوبكر لانه دعی الی قتال اهل الردة و مانعی الزكاة . و يرده ان " البأس الشديد " ظاهر فی ان هولاء القوم اشد بأسا ممن كانوا يقاتلون مع الرسول ، ولا اشكال ان الكفار الذين قاتلهم ابوبكر لم يكونوا ذوی بأس شديد كبأس جيش الاحزاب و بدر و حنين و غيرها من حروب زمن النبی ، فلا معنی لتهديد من فر من القتال الشديد بقتال اخف وطأة منه ، كما لا معنی لان يقال لشخص " ستقاتل قوما اولی باس شديد " مع ان هذا الشخص بنفسه شاهد قتال من هو اشد بأسا من الذين سيقاتلهم .

هذا مضافا الی ان قوله تعالی " تقاتلونهم او يسلمون " ظاهر فی ان الحرب يقع بين الفريقين و يحدث مقاتلة بينهما حتی يقتل الكفار او يرضخوا للاسلام و هذا لاينطبق علی ماجری لابی بكر مع مانعی الزكاه ، فانه لم يقاتلهم فی ميدان الحرب بل هجم عليهم وهم نائمون ـ كما سنذكر مايؤيد هذا بعد قليل .

الثالث ـ انه عمر بن الخطاب لانه دعی الی حرب فارس والروم و قد كانوا اولی باس شديد و هذا القول ليس بشیء ايضا . لان جيش فارس و الروم و ان كانوا اولی باس شديد الا انه لم تكن شدة باسهم فی مقابل الجيش الاسلامی ، اذ ليس كثرة العدد وتضخم السلاح و ماشابه ذلک من شدة الباس ، بل الشجاعة والصبر علی القتال و عدم الفرار من الميدان والمقاومة الجادة لجيش العدو والفداء فی سبيل العقيدة و اشباهها هی من شدة البأس . و من سير التاريخ عرف ان جيش الروم و فارس لم يقاوموا الی هذه المثابة بل كان الفرار من نصيبهم عند ماكانت تدور رحی الحرب .

ونقطة هامة يجب ان لاننساها هنا ، وهی ان عمر لم يكن من الداعين الی الحرب والمحرضين الی الفتوحات التی استحصل عليها المسلمون فی عصره ، بل دفع المسلمين الی تلک الحروب الوعد الذی سبق للرسول (ص) بالنصر علی جيش الروم و فارس .

---

١ ـ الفتح آية ١٦

الرابع ـ انه عثمان بن عفان ، و هذا القول مضافا الى انه ضعيف بنفسه يعلم جوابه مما سبق . .

الخامس ـ انه على بن ابيطالب عليه‌السلام ، و قد اختار هذا القول الشيخ المفيد في بعض كتبه ، و هوالاظهر لانطباق خصوصيات الآية الكريمة عليه و على الذين حاربوه ، و فيما يلى نذكر بعض القرائن الدالة على ذلك .

(اولا) ـ ان الذين حاربوا عليا عليه‌السلام عرف عنهم اشدّ البأس والمقاومة . فاصحاب الجمل يكفى فى شدة بأسهم ماذكروا من تقانيهم فى سبيل عايشه و جهزهم الغريب لعثمان و طلبهم لدمه ، والتدبر فى حال بنى ضبّة والمجالدة التى ابدوه فى الحفاظ على هودج عائشه والدماء التى اهدروها لذلك يظهر جانبا عظيما من جوانب شدة باس اصحاب الجمل .

و اما حرب صفين والصبر الطويل والمواقف الحاسمة التى كانت لاصحاب معاوية لما يثير العجب ، وكفى ماقيل من ان هذه الحرب ماعرف فى الاسلام مثلها قبلها ولابعدها و من نماذج وقائع صفين الاحداث الهائلة فى ليلة الهرير و ماجرياتها .

واصحاب النهروان الذين يعرفون بالخوارج فكانوا يستقبلون الموت بشوق و شغف و يستبشرون بالقتل والقتال لما كانوا يعتقدون من ان القتل فى الميدان شهادة فى سبيل الله ، و ناهيك بمن يعتقد هذا الاعتقاد و يتقدم فى ميدان الحرب ، و كان نتيجة هذه العقيدة ان جيشهم كانوا يبلغون ثلاثة آلاف مقاتل و كلهم قتل بسيف على واصحابه ولم يفر منهم الاتسعة .

فلو تعمقنا فى هذه الحروب و ماسبقها من الحروب الاخرى لعلمنا حقا ان قوله تعالى " اولى بأس شديد " ينطبق كل الانطباق على الذين حاربوا عليا عليه‌السلام .

(ثانيا) ـ فى قوله تعالى " تقاتلونهم او يسلمون " فيه اشعار ان العدو لايفر من القتال والامر دائر بين مقاتلتهم الى ان لايبقى منهم من يعتد به او يسلموا ، وهذا ماوقع فى الحرب مع الخوارج فانهم كما اسلفنا لم يبق من كل الجيش سوى تسعة نفر فقط و اما حروب ابى بكر و عمر فكان الفارين من جبهات القتال بين يديهما اكثر من الثابتين ، فكيف ينطبق هذا القول مع ماوقع لهما من الحروب .

(ثالثا) ـ قوله تعالى " فان تتولوا كما توليتم من قبل " تهديد بامر يتوقع وقوعه البتة و انهم فى معرض التولى فى هذا الحرب كما تولوا من قبل ، و يثبت التاريخ ان اصحاب محمد لم يتولوا ولم يتكاسلوا فى الحروب التى وقعت فى زمن الخلفاء الا فى

حرب صفین ، حیث ان المقاتلین تعبوا و تکاسلوا عن الحرب الا الاشترواصحابه ،وجماعة من اصحاب علی علیه‌السلام فقد تولوا من اول الامر ولم یساعدوه فی حروبه بل بعضهم لم یبایعه اصلا ، وهم امثال ابی هریره وابی الدرداء و انس بن مالک و سعدبن ابی وقاص ومحمدبن مسلمة والمغیرة بن شعبة وحسان‌بن ثابت‌وعبدالله‌بن‌عمروامثالهم .

والنتیجة من کل ما تقدم . ان الایة الکریمة تشیر الی المنافقین من اصحاب علی علیه السلام ، فانهم الذین کانوا یتخلفون عن الجهاد مع الرسول صلی الله علیه وآله ، ولم یظهر من المنافقین خلاف فی‌زمن الخلفاء الثلاثه بل کان جمیعهم مرافقین للخلفاء الا ماحدث اواخر ایام عثمان من بعضهم . و هذا بخلاف حال المنافقین‌مع‌النبی فان القرآن الکریم مشحون بماکان یصدر منهم من الاذایاطیلة حیاته صلی الله علیه‌وآله و هکذا الحال فی‌زمن علی علیه‌السلام الذی کانت ایام خلافته مظهرا من المظاهر العنیفه لاعمال المنافقین التخریبیة ، و لذا کان اکثر ابتلائه بجماعة ظاهرهم الاسلام و باطنهم الکفر ، و قضی المنافقون فی خلافته فترة امتحان اظهرت ماتکنه قلوبهم‌وخبیئة اسرارهم .

٥

التنبؤ حول مستقبل آل محمد عليهم السلام

في اهل بيت النبي و آله عليهم الصلاة والسلام آيات كثيرة نقتصر منها على مايلي .

١ـ قوله تعالى " مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون "[١]

يعرف من آخر الآية الكريمة ان المراد من الشجرة الطيبة المذكورة في هذه الاية والشجرة الخبيثة التي ستذكر في الآية التالية ليست الشجرة الحقيقية ، وانما هما مثال ضرب لشيء آخر كما في سائر الامثال المضروبة التي لاياتي بها الانسان الا لتوضيح حال الممثل و بيان المقصود الذي يرمي اليه ، فليس ماذكره المفسرون في تفسير الآية او ماجاء في الروايات التي تفسر الشجرة بالنخلة اوشيء آخر من هذا القبيل الا بيانا للمراد من المثل ، والقرآن الكريم اجل شانا من ان يذكر حال الاشجار وماشابهها بلاقصد شيء يرتبط بالدعوة و هداية الناس و بيان المثل العليا و ما الى ذلك .

و على كل حال وردت احاديث كثيرة تفسر الشجرة الطيبة بالنبي والخمسة الاطهار من اهل بيته او بآل محمد عليهم السلام . و هذا التفسير بمقتضى الروايات المستفيضة يدل على امرين هما . بقاء آل محمد عليهم السلام و عدم انقراض نسله و ذريته مابقي الدهر ، و هذا ماهو المشاهد الذي ليس الى انكاره من سبيل . و ان في آل محمد و ذريته في كل العصور من يقوم بترويج الدين الصحيح الى يوم القيامه و هذا

١ـ سورة ابراهيم آية ٢٤

ايضا يوافق ماهوالمشاهد الذى لايقبل الانكار ، ففى زمن الائمه عليهم السلام قام كل واحد منهم بالدعوة والاصلاح حسب ما يقتضيه العصر وما يمكن سلوكه من طرق الارشاد ، و هكذا استمرت الايام حتى جاء دور الحجة المنتظر عليه السلام الذى اقتضت المصالح الالهية تستره ولكنه كالشمس التى تستمد الارضون من شعاعها و هى مستترة وراء الغيوم .

هذا مضافا الى انه يوجد فى كل زمان وعصر من ذرية الرسول المنتسبين الى على و فاطمة عليهما السلام من يقوم بواجبه الدينى خير قيام ، ولم ينقطع هذا الحبل الممدود ولاينقطع مادامت الليالى والايام .

و يؤيد وجهة نظرنا التدبر فى قوله تعالى " اصلها ثابت " و" تؤتى اكلها كل حين " ، فان اية شجرة مهما كانت قوية لاتثبت اركانها مدى الدهر ولاتؤتى اكلها كل حين ، فان ايتاء الاكل كل حين معناه بقاء الشجرة و عدم زوالها ، و هذا لاينطبق الاعلى الشريعة الاسلامية والحافظين لها الذين هم اهل بيت الرسول و ذريته .

٢ــ قوله تعالى ــ فى بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال× رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار "[1]

قال فى مجمع البيان بعد تفسير آية النور و ذكر معنى المشكاة والمصباح والزجاجة وغيرها . ان هذه المشكاة فى بيوت هذه صفتها . الى ان قال . و قيل هى بيوت الانبياء ، وروى ذلك مرفوعا انه سئل النبى صلى الله عليه وآله لما قرأ الاية . اى بيوت هذه؟ قال . بيوت الانبياء . فقام ابوبكر فقال . يارسول الله هذا البيت منها ــ يعنى بيت على و فاطمة ــ ؟ قال . نعم من افاضلها ، ثم استشهد بآية التطهير وبقوله " رحمة الله و بركاته عليكم اهل البيت " . ثم قال . المراد برفع البيوت رفع الحوائج فيها الى الله تعالى ، او رفعة القدر والتعظيم ، او رفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصى والادناس .

اقول . ماجاء فى الروايات الكثيرة من تفسير آية النور بالخمسة الطيبة والبيوت ببيوتهم عليهم السلام هو الصحيح ، والاظهر ان المراد من الرفع المذكور فى الآية مايشمل ارتفاع بناء البيت و ان كان يستعمل فى غيره ايضا ، فعلى هذا يمكن حملها على الاخبار عن ان هذه البيوت هى ارفعها ظاهرا وباطنا . اما ظاهرا فلارتفاع بنائها وشموخه ، واما باطنا فلما ذكره الطبرسى من رفعة القدر والتعظيم وقضاء الحوائج وغيرها .

١ــ سورة النور آية ٣١

وهذا الاخبار الغيبى قد وقع بالفعل وهوالظاهر المشاهد الذى يلفت النظرفى كل مكان ، فبقاع الائمة المعصومين من حيث البناء رفيعة شامخة يقصدها الزائرون من ادنى البلاد واقصاها مع العلم انها كانت فى اول الامر فى امكنة قفر غير مسكونة ولكنها اصبحت بعد مادفنوا فيها عالية البنيان رفيعة الاركان شامخة شموخ الانجم الوَضّاءة فى السماء والجبال الراسخة فى الارض.

هذا من جهة البناء الظاهرى ، واما الرفعة المعنوية فقبورهم عليهم السلام و قبور الصالحين من اولادهم اصبحت مهوى افئدة المسلمين يتقرب بزيارتها الى الله تعالى و تستجاب عندها الدعوات وتظهر منها الكرامات والمعاجز ، ولايجحد عظيم قدرها ورفيع شانها الا من فى قلبه مرض ابعده عن درک الحقائق والوصول الى الواقع الحق .

٦

التنبؤ حول اصحاب الرسول

الآيات الراجعة الى اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمكن تصنيفها الى صنفين منها ما تحقق مضمونها فى حياته عليه الصلاة والسلام و منها ما دل على احداث تتحقق بعد وفاته ، اما الصنف الاول فهى

١ــ قوله تعالى " ولاتهنوا ولاتحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين "[١]

نزلت هذه الآية الكريمة بعد حرب احد لما غلب الكفار على المسلمين ، و فيها وعدالله تعالى المسلمين بان الغلبة ستكون لهم بعد حين ، و كان الامر كذلك اذ غلبوا على اهل مكة و غيرهم من المشركين فى مواقع واحداث تلت حرب احد .

٢ــ قوله تعالى " فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا "[٢]

ذكر فى مجمع البيان فى شأن نزول هذه الآية ان اباسفيان لما رجع الى مكة يوم احد واعد رسول الله موسم بدرالصغرى ــ و هو سوق تقوم فى ذى القعدة ــ فلما بلغ النبى الميعاد قال لاصحابه . اخرجوا الى الميعاد ، فتثاقلوا وكرهوا ذلك كرها شديدا ، فنزلت هذه الآية ، فحرضهم على الجهاد ثانية فتثاقلوا ولم يخرجوا ، فخرج رسول الله فى سبعين راكبا حتى اتى موسم بدرفكفاهم الله باس العدو ولم يوافهم ابوسفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله بمن معه من المسلمين ــ كما قد اخبرت الاية .

١ــ سورة آل عمران آية ١٣٩

٢ــ سورة النساء آية ٨٤

و اما الايات التی هی من الصنف الثانی و تدل علی القضايا التی سوف تحدث بعد وفاة النبی (ص) فهی کثيرة نشير الی بعضها .

١ـ قوله تعالی " وعدکم الله مغانم کثيرة تأخذونها فعجل لکم هذه و کف ايدی الناس عنکم ولتکون آية للمؤمنين ويهديکم صراطا مستقيما "[١]

کلمة " هذه " تشير الی مغانم خيبر ، و قوله " مغانم کثيرة " اشارة الی غنائم کثيرة تحصل للمسلمين بعد غنائم خيبر . و قد کان الامر کما اخبرت به الاية الکريمة ، اذ غنم المسلمون بعد خيبر کثيرا من الغنائم خصوصا ماحصل لهم من غنائم ايران والروم التی کانت تتعدی حدود الوصف ، ففی الآية اشارة الی ملحمة غيبية ظهرت بعد حين من الزمان .

٢ـ قوله تعالی " و قال الرسول يارب ان قومی اتخذوا هذا القرآن مهجورا "[٢]

تشتمل هذه الاية المباركة علی الاخبار بان اصحاب النبی صلی الله عليه و آله سوف يترکون القرآن مهجورا بعد موته (ص) لانها تشتمل علی شکاية من قومه الی الله تعالی يوم القيامة ، و مضمون تلک الشکاية واردة فی الآية ، و هی انهم سيتخذون القرآن مهجورا بعد وفاته ، فلولم يهجروا القرآن کما يدعيه اهل السنة لکان احد الاخبارين کذبا اخبار الله تعالی عن شکاية النبی ، او " اخبار " النبی عن هجر القرآن بعد موته .

ان قلت . لعل المراد من الامة زمن خلفاء بنی امية و بنی العباس و امثالهما من الخلفاء الذين کانوا يظهرون الاسلام ويبطنون العناد للاسلام ، او يکون المراد العصور التی بَعُدَ القرآن والدين عن واقع المسلمين کما فی زماننا هذا . فمن اين يمکن اثبات ان المراد هجر اصحابه خاصة القرآن الکريم حتی تنطبق الآية عليهم .

قلنا . هذا القول يصح لوکان التعبير بـ " انّ امتی اتخذت هذا القرآن مهجورا " اذ الامة تطلق علی من يتبع الرسول فی مختلف العصور والازمان ، اما التعبير بـ " ان قومی " فلا يأتی فيه ماذکر ، لان القوم يطلق علی الجماعة المبعوث فيهم النبی و قد عاشرهم و صاحبهم ، و قوم کل نبی هم اصحابه الذين ارسل اليهم ودليلنا علی ما ذهبنا اليه موارد استعمال هذه اللفظه فی الايات الکريمة التی تتحدث عن الانبياء السابقين کقوم نوح و قوم هود و غيرهما .

و نسبة الهجر الی القوم من دون استثناء دليل علی ان من لم يهجر منهم نادر

١ـ سورة الفتح آية ٢٠

٢ـ سورة الفرقان آية ٣١

قليل فی حكم المعدوم ، فكان القوم كلهم قد هجروا القرآن الكريم كما هو معتقد الشيعة فی اصحاب النبی (ص)

٣ـ قوله تعالى " الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا و هم لايفتنون × و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين "[١]

تدل الآية الكريمة على ان الذين ادعوا الايمان منهم من هو صادق فی ادعائه ومنهم من هو كاذب فی ذلک ، كما انها تشتمل ايضا على الاخبار بحدوث فتن وامتحانات بعد وفاة النبی او مطلق ما يستقبل من الازمنه يتجلى فيها ايمان المؤمن و نفاق المنافق ولكن ماهی تلک الفتن وما نوعيتها ؟ فلاتذكر الاية شيئا من ذلک .

هذا ولو رجعنا الى الاحاديث الشريفة لرأينا فيها الماعا الى تلک الفتن ونوعيتها فقد روى عن اميرالمومنين على عليه الصلاة والسلام انه كان مشغولا بتجهيز النبی و مقدمات دفنه فاخبره سلمان او غيره بماحدث فی السقيفة ، فقام عليه السلام معتدلا وقرا الآية السابقة .

ويشبه هذه الاية ايضا قوله تعالى بعد عشر آيات من نفس السورة " و ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين "

٤ـ قوله تعالى . " فاصبر ان وعدالله حق فاما نرينک بعض الذی نعدهم او نتوفينک فالينا يرجعون "[٢]

فی الآية اشارة الى وعيد لاصحاب الرسول صلى الله عليه وآله و تاكيد بان ذلک الوعيد حق لاخلف فيه ، ولكن الوعيد مردد بين وقوعه فی حياته او بعد موته ، فالمعنى ان العذاب لابد ان يحل باصحابک فی الدنيا اما فی حياتک و اما بعد موتک .

ولوكان مراده تعالى الترديد بين عذاب الدنيا و عذاب الاخرة ـ كما يتبادر الى بعض الاذهان ـ لما كان التعبير بـ " اما نرينک او نتوفينک " بصحيح ، بل كان من حق التعبير الصحيح ان يقول " اما فی الدنيا او فی الاخرة .

و على كل حال ففی الاية الكريمة اخبار عن بلاء و عذاب يحل باصحابه صلى الله عليه وآله ، اما تعيين مصداق هذا العذاب فموكول الى ملاحظة الاحداث التی وقعت فی حياته و بعد وفاته .

١ـ سورة العنكبوت آية ٢

٢ـ سوره المومن آية ٧٨

۵ ـ قوله تعالی "فاما نذهبن بک فانا منهم منتقمون×او نرینک الذین وعدناهم فانا علیهم مقتدرون"[۱]

قال فی مجمع البیان . ای فاما نتوفینک فانا منتقمون من امتک بعدک او نبقیک و نریک فی حیاتک ماوعدناهم من العذاب ـ انتهی .

و روی عن جابر و غیره عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال . فانا منهم منتقمون بعلی .

الضمیر فی " منهم " و " علیهم " راجع الی المنافقین من اصحاب الرسول (ص) فیلزم ان یکون الانتقام من الذین عاشوا فی زمن الخلفاء الراشدین لان من عاصر غیرهم من سائر الخلفاء لم یکونوا من الصحابة الا الشاذ النادر فلم یصح ان یکونوا ممن یراد الانتقام منهم .

ولایصح ایضا ان یکون الذی یجری الانتقام بیده غیر علی من الخلفاء الراشدین لانهم حاربوا الکفار الذین لم یقبلوا الاسلام لاالمنافقین ، والذی حارب المنافقین الذین کانوا یظهرون الاسلام و یبطنون الکفر هو علی بن ابیطالب علیه السلام ، فهو فی حروب الجمل و صفین والنهروان قتل کثیرا من المنافقین کما ذکرنا ذلک بشیء من التفصیل فیما سبق ، فاذن علی علیه السلام هوالذی تبشر الایة الکریمة بوقوع الانتقام بیده .

۶ ـ قوله تعالی " ماکان الله لیذر المؤمنین علی ما انتم علیه حتی یمیز الخبیث من الطیب و ما کان الله لیطلعکم علی الغیب ولکن الله یجتبی من رسله من یشاء فامنوا بالله ورسله وان تومنوا و تتقوا فلکم اجر عظیم"[۲]

الایة الکریمة تخبر عن وجود کل من الخبیث والطیب فی اصحاب النبی (ص) و ان فیهم مؤمنین و منافقین ، و تخبر ایضا بان النفاق امر قلبی لا یطلع علیه الا من یعلم الغیب ، ولکن الله تعالی لایطلعهم علی الغیب ، و انما یطلع رسوله علی الغیب ، ولکن مع ذلک ما کان الله لیذر الامر مشتبها بحیث لایعرف المؤمن من المنافق الی الابد بل یختبرهم و یبتلیهم بما یتمیز به المؤمن من المنافق فی المستقبل .

والامر الذی صار سببا لتمییز المومن من المنافق بعد رسول الله (ص) هو مسئلة الامامة و اقدامهم علی نصب الخلیفة و اعراضهم عمن اختاره الله تعالی و علیه

---

۱ ـ زخرف ۴۱

۲ ـ سورة العمران آیة ۱۷۹

فقوله " وما كان الله ليطلعكم على الغيب " بمنزلة قوله تعالى " ان الله يفعل مايشاء و يختار ماكان لهم الخيره " فيارادة مسئلة الامامة .

٧ — قوله تعالى " و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علىاعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرالله شيئا و سيجزى اللهالشاكرين "[١]

مفاد الآية الكريمة استفهام توبيخى يذمهم بصفة ثابتة فيهم علم الله انه يظهر اثر تلك الصفة بعد رحلة النبى (ص) فالاية الكريمة تذمهم لاجل اتصافهم بالصفة التى تقتضى ارتدادهم فى المستقبل و تلك الصفة هى صفة النفاق ، فانها تقتضى ان يكون ايمانهم بالنبى قائما بالنبى (ص) يبقى ببقائه ظاهرا و يزول بموته او قتله .

فالآية الكريمة توجه الذم الى اصحاب النبى (ص) و توبخهم شديدا لامر لم يقع بعد و هو ارتدادهم بعد رحلة النبى (ص) ، فلولم يكن ارتدادهم امرا محققا فى موطنه لم يكن لذمهم وجه صحيح ، و حيث ذمهم فعلا ، فكانه اخبر عن وقوع الارتداد منهم بعد وفاة النبى (ص) .

و هذا يؤيد ماورد فى روايات الشيعة من ارتداد اكثر اصحاب النبى (ص) بعد النبى (ص) الا قليل منهم .

و ربما يدعى اختصاص الاية الكريمة بغزوة احد فيكون المراد من قوله تعالى " انقلبتم على اعقابكم " الفرار من الزحف كما روى فى شان نزولها .

ولكن على فرض شمول الاية لها او نزولها فيها فلا دليل على تخصيص عموم الشرطية اعنى قوله " افان مات الخ " بمورد خاص ، خصوصا مع ظهور الجملة الشرطية فى الاستقبال ، مع ان ترديد الاية بين الموت او القتل فى قوله " افان مات او قتل "لايناسب غزوة احد فان الامر فيها لم يكن دائرا بينهما بل القتل فقط فراجع . و كيفما كان فالاية الكريمه بخبر عن الحوادث المؤلمة التى جرت فى سقيفة بنى ساعدة و مابعدها من الفتن كما انها تخبر عن انحراف اكثر اصحاب النبى (ص) عن حقيقة الاسلام ، و انقلابهم عن القرآن والشريعة الى اعقابهم كما كانوا فى الجاهلية .

١ــ العمران آية ١٤٤

٧

التنبؤ حول بني امية

فسر المفسرون آيات ببني امية و اعمالهم و مستقبل احوالهم ، وهي

١ــ قوله تعالى " ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الارض مالها من قرار"[١]

روى في مجمع البيان و تفسير العياشي و غيرهما من تفاسير الشيعة و كثير من تفاسير اهل السنة تفسير " الشجرة الخبيثة" ببني امية و بمن عادى اهل بيت النبي عليهم السلام ، واشتهر هذا التفسير عند الشيعة حتى اصبح مثل المسلمات التي لا تقبل الجدل .

ونقل في تفسير الميزان عن الالوسي انه قال في تفسيره . و روى الاماميّة ــ وانت تعرف حالهم ــ عن ابي جعفر رضي الله عنه تفسير الشجرة الخبيثة ببني امية و تفسير الشجرة الطيبة برسول الله و علي كرم الله وجهه و فاطمة رضي الله عنها و ما تولد منهما و في بعض روايات اهل السنة ما يعكر على تفسير الشجرة الخبيثة ببني امية ، فقد اخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله قلّب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب ، و قلّب العرب ظهرا و بطنا فكان خير العرب قريشا ، و هي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى في كتابه " مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة" لان بني امية من قريش ــ انتهى كلام الالوسي .

ثم قال سيدنا الاستاذ جوابا على هذا الكلام . و هو عجيب ، لان كون امّة او

١ــ سورة ابراهيم آية ٢٤

طائفة مباركة بحسب طبعهم لايوجب كون جميع الشعب المنشعبة منها كذلك ، فالرواية على فرض تسليمها لاتدل الاعلى كون قريش شجرة مباركة ، واما ان جميع الشعب المنشعبة منها مباركة طيبة كبني عبدالدار وكون كل فرد منهم كذلك كابي جهل وابي لهب فلاقطعا وقد روى ابن مردويه هذا عن عايشة انها قالت لمروان بن الحكم . سمعت رسول الله يقول فيك وفي ابيك وجدك . انكم الشجرة الملعونة في القرآن .

اقول . في قول الاستاذ " فالرواية على فرض تسليمها " اشارة الى ان هذه الرواية وامثالها يحتمل قويا ان تكون من مجعولات بني امية الذين صرفوا اموالا طائلة في وضع الاخبار ـ كما يظهر جليا لمن سبر صحائف التاريخ .

ومما يعكر على ماورواه الالوسي ايضا ان عدي بن حاتم راوي الحديث الذي استشهد به الالوسي كان عدوا لدودا لبني امية وحارب مع معاوية بن ابي سفيان ما يقرب من السنة ، فكيف يصح ان يروى هذا الحديث ويفسره بكل افراد قريش ويجعلهم كلهم الشجرة الطيبة ثم يسعى في قطعها .

اضف الى ما سبق ان روايات كثيرة جاءت من طرق السنة والشيعة بان قريشا هم خير العرب باعتبار اشتمالهم على بني هاشم ، وبني هاشم هم خير قريش باعتبار اشتمالهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما روى السيوطي عن الترمذي والطبراني ومن هنا يعرف ان الخيرية ليست الا باعتبار شخص خاص او فئة معينة ولاتشتمل المجموع من حيث انهم مجموع .

وعلى فرض قبول جميع ما ذكر فالشيعة لاتسلم ان بني امية من قريش ، ازوردت روايات كثيرة وصرح جمع من المؤرخين بان امية كان عبدا روميا يخدم عبد مناف ثم تبناه عبد مناف فعد من اولاده فهو لم يكن من العرب فضلا عن ان يكون من قريش .

٢ـ قوله تعالى " واذقلنا لك ان ربك احاط بالناس وماجعلنا الرؤيا التي اريناك الافتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فلايزيدهم الا طغيانا كبيرا "[١]

اختلف المفسرون في المراد بالرؤيا والشجرة الملعونة المذكورين في هذه الاية واحسن الاقوال ماورد عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام ، فروى في مجمع البيان عن سهل بن سعيد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله انه رأى في منامه قرودا تصعد منبره وتنزل ، فساءه ذلك واغتم به ، وروى انه لم يستجمع ضاحكا بعد هذا .

١ـ سورة الاسراء آية ٦٠

وعلى هذا فسر المفسرون الشجرة الملعونة ببنى امية، لان النبى (ص) فسر القرود التى رآها فى منامه و كذا الشجرة الملعونه ببنى امية، و يؤيد هذا التفسير ايضا ما سبق من القول فى تفسير الشجرة الخبيثة. و هذا من الملاحم الغيبية التى تحققت بعد وفاه الرسول.

٣ـ قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر و ما ادريک ماليله القدر ليله القدر خير من الف شهر..."

الروايات من طرق الشيعة والسنة متواترة فى ان المراد بالف شهر هو الف شهر ملكها بنوامية فانهم ملكو ثمانين سنة و هى الف شهر و قد اجتهد بنو امية و اتباعهم فى صرف الآية الى من ملک من بنى اسرائيل الف شهر او غير ذلک و ربما انتصر لهم بعض المجورين فى زماننا فاراد ان ينفى كون مدة ملكهم الف شهر بل اقل منه او اكثر.

ولقد اجاد المؤرخ الشيعى الكبير المسعودى فى مروج الذهب حيث انه حاسب بدقة تامة ملک بنى اميه فلم يؤد يوما ولم ينقص فراجع مروج الذهب طبع ليدن ج ٦ ص ٤٩ و عليه فمضافا الى انه ملحمة غيبية اخبر عنها القرآن الكريم دليل على صحة هذا التفسير كما ان صحته من ادلة صحة مذهب الشيعة وبطلان مذاهب اهل السنة و غيرهم و اليک نص عبارة المسعودى قدس سره.

" ذكر مقدار المدة من الزمان و ما ملكت فيه بنوامية من الاعوام "

كان جميع ملک بنى امية الى ان بويع ابوالعباس السفاح الف شهر كاملة لاتزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودى) و الناس متباينون فى تواريخ ايامهم والمعول على مانورده و هو الصحيح عند اهل البحث و من عنى باخبار هذا العالم وهو ان (معاوية) بن ابى سفيان ملک عشرين سنة (و يزيد) بن معاويه ثلاث سنين و ثمانية اشهر و اربعة عشر يوما (و معاوية) ابن يزيد شهرا واحد عشر يوما (و مروان) بن الحكم ثمانية اشهر و خمسة ايام (وعبدالملک) بن مروان احدى و عشرين سنة و شهرا و عشرين يوما (والوليد) بن عبدالملک تسع سنين و ثمانية اشهر ويومين (و سليمان) بن عبدالملک سنتين و ستة اشهر و خمسة عشر يوما (و عمر) بن عبدالعزيز رضى الله عنه سنتين و خمسة اشهر و خمسة ايام (و يزيد) بن عبدالملک اربع سنين و ثلاثة عشر يوما (و هشام) بن عبدالملک تسع عشرة سنة و تسعة اشهر و تسعة ايام (والوليد) بن يزيد بن عبدالملک سنة وثلاثة اشهر (و يزيد) بن الوليد بن عبدالملک شهرين و عشرة ايام و اسقطنا ايام ابراهيم بن الوليد بن عبدالملک كاسقاطنا

ایام ابراهیم بن المهدی ان یعد فی الخلفاء العباسیین (ومروان) بن محمد بن مروان خمس سنین و شهرین و عشرة ایام الی ان بویع السفاح فتکون الجملة تسعین سنة و احد عشر شهرا وثلاثه عشر یوما یضاف الی ذلک الثمانیة اشهر التی کان مروان یقاتل فیها بنی العباس الی ان قتل فیصیر الباقی بعد ذلک ثلاثا و ثمانین سنة و اربعة اشهر یکون ذلک الف شهر سواء و قد ذکر قوم ان تأویل قوله عزوجل لیلة القدر خیر من الف شهر ماذکرناه من ایامهم و قد روی عن ابن عباس انه قال والله لیملکن بنو العباس ضعف ما ملکته بنو امیة بالیوم یومین وبالشهر شهرین و بالسنة سنتین و بالخلیفه خلیفتین (قال المسعودی) فملک بنو العباس فی سنة اثنتین و ثلاثین و مائة وانقضی ملک بنی امیة فبنی العباس من وقت ملکهم الی هذا الوقت و هو سنة اثنتین و ثلاثین و ثلثمائه مائتا سنة و ذلک ان اباالعباس السفاح بویع له بالخلافة فی ربیع الاخر من سنة اثنتین و ثلاثین و مائة وانتهینا فی تصنیفنا من هذا الکتاب الی هذا الموضع فی شهر ربیع الاول من سنة اثنتین و ثلاثین و ثلاثمائة فی خلافة ابی اسحق المتقی لله و الله اعلم بما یکون من امرهم فیما یاتی به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الایام و قد اتینا بحمدالله فیما سلف من کتابینا اخبار الزمان والاوسط علی الغرر من اخبارهم والنوادر من اسمائهم والطرائف مما کان فی ایامهم و عهودهم و وصایاهم و مکاتباتهم واخبار الحوادث و الخوارج فی ایامهم من الازارقة و الاباضیة و غیرهم و من ظهر من الطالبین طالبا بحق او آمرا بمعروف او ناهیا عن منکر فقتل فی ایامهم و کذلک من تلاهم من بنی العباس الی خلافة المتقی لله من سنتنا هذه و هی سنة اثنتین و ثلاثین و ثلثمائة و ماذکرنا فی هذا الکتاب من جوامع التاریخ قدیخالف ماتقدم بسطه بالیوم او العشرة اوالشهر عند ذکرنا لدولة کل واحد منهم و ایامه و هذا هو المعول علیه من تاریخهم و سنیهم والمفضل من مدتهم والله اعلم و منه التوفیق . انتهی کلام المسعودی

روی علی بن ابراهیم فی تفسیر قوله تعالی ان نشاء ننزل علیهم من السماء آیه فظلت اعناقهم لها خاضعین[1] عن ابیه عن ابن ابیعمیر عن هشام عن ابیعبدالله (ع) قال تخضع رقابهم یعنی بنی امیة و هی الصیحة من السماء باسم صاحب الامر (ع)

۱ــ سورة الشعراء آیة ۴

٨

التنبوء حول عامة المسلمين

سنتناول بالبحث في هذا الفصل الآيات المشتملة على ملاحم غيبية تخص المسلمين بقول مطلق، اى ما يرجع الى مستقبل اهل الاسلام لانفس الدين الاسلامي، و ننسق الآيات المذكورة في نوعين

النوع الاول ـ في الايات الدالة على كثرة ابتلاء المسلمين عند غيبة الامام (ع) والمصائب النازلة بهم امتحانا لانقمة وعذابا، و هي آيتان

١ـ قوله تعالى " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين "[١]

اشتمال قوله تعالى " و لنبلونكم " على اللام والنون المؤكدين دليل على تحتم هذه الابتلائات ولاشك ان كل انسان يبتلى بشيء من هذه الابتلائات مسلما كان او غير مسلم، ولوكان المراد هذا المقدار من الابتلاء لم يكن في الاخبار عنه كبير فائدة او مابلغت النظر، فما هو الابتلاء الذى ذكر مؤكدا باللام والنون و كان موضع هذا الاهتمام؟

الظاهر ان الآية الكريمة ترُوم بيان اكثرية ابتلاءات المسلمين من غير المسلمين وانهم يصيبهم من انواع البلاء ازيد مما يبتلى به الكفرة و الخارجون عن الاسلام. وهذا ما نشاهده بالفعل، فان المسلم لتمسكه بالدين الحق يصبح اكثر هدفا للمصائب والاحزان وابعد عن الملاذ والملاهي، اذ يحسب لكل شيء حسابه الدقيق ثم يقدم او يحجم، و هذا يعني انه لايصل الى كثير مما يصيبه غير المتدينين من متع الدنيا و ملاذ الحياه،

١ـ سورة البقره آية ١٥٥

بل ربما يسبب هذا له كثيرا من المتاعب التى تنهك قواه و تسلط عليه انواع البلاء .

٢ــ قوله تعالى " لتبلون فى اموالكم و انفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور "[١]

يعدد الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بعض انواع البلاء التى ستصيب المسلمين . فالابتلاء فى الاموال باخذ اهل الكتاب و المشركين اموال المسلمين و الكافرين او حروب المسلمين بعضهم مع بعض بسبب القاء الكفار الاختلاف بينهم اوبوقوع انواع الامراض و نحو ذلك كاشاعة الكفار والمستعمرين انواع الفجور و الفسوق التى تضر اضرار بالغة فى الاجسام والارواح .

و هذه الآية و ما اشبهها كما اخبرت عن انواع الابتلاءات صرحت بتسلط الكفار على المسلمين و استعمارهم . و العجيب ان هذه الاخبار الغيبية جاءت فى زمن لم يتصور احد غلبة الكفار على المسلمين ، بل كان المسلمون فى تقدم مستمر بالفتح والسيطرة والتوسع ، و كانوا فى كل يوم يفتحون بقعة جديدة من بقاع الارض و يضيفونها الى البلاد الاسلامية .

هل كان يدور فى خلد مفكر ان المسلمين الذين لهم السلطنة التامة و السيادة الشامله سوف يقعون فى مخالب اعدائهم ؟ و هل كان يتصور انسان ان هذه القوى الجبارة التى ازالت كيان قيصر روم و كسرى ايران سيزول و يحل محلها الضعف والخور ؟

لا ، لم يحسب احد هذا الحساب ، لان شرائط التقدم كانت متوفرة ، و القوى الكامنة فى نفوس المسلمين كانت متوقدة .

ولكن قرآن المسلمين ، القرآن وحده اخبر بهذا المستقبل المولم فى كثير من آياته بالرغم من توفر الشروط و كثرة القوى والتوسع السريع والسيادة الشاملة . نعم انه اخبر بهذه الحقيقة المؤلمة وصدقته الايام ، و سجّل بهذا الخبر الغيبى معجزة اخرى الى جنب سائر معجزاته و ملاحمه الغيبية .

و اما النوع الثانى فهى الآيات التى تهدد المسلمين بالعذاب النازل نقمة لا امتحانا و هى .

١ــ قوله تعالى " و ماكان الله ليعذبهم و انت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون × و مالهم الا يعذبهم الله و هم يصدون عن المسجد الحرام و ما كانوا اولياؤه

١ــ سورة آل عمران آية ١٨٦

ان اولياءه الا المتقون و لكن اكثرهم لايعلمون " [١]

قال سيدنا الاستاذ ادام الله ظله. و يستفاد من الآيتين ان الكعبة المشرفة لو تركت بالصد استعقب ذلك المؤاخذة الالهية بالعذاب ، قال اميرالمومنين عليه السلام في بعض وصاياه " الله الله في بيت ربكم فانها ان تركت لم تنظروا "

و في مجمع البيان اورد سئوالا في الآيتين مختصرة. كيف يجمع بين الآيتين مع ان في الاولى نَفَى التعذيب و في الثانية اثبته.

و اجاب عن هذا السؤال بوجوه ثلاثة.

الاول ـ ان المراد في الاية الاولى عذاب الاستئصال و في الثانية عذاب القتل بالسيف و الاسر. اقول. ليس على هذا القول دليل من الآيتين ولامن الخارج، فليس بشيء.

الثاني ـ ان المراد في الاية الاولى عذاب الدنيا و في الثانية عذاب الاخرة اقول هذا افسد من الجواب الاول وذاك بالاضافة الى انه لادليل على هذا القول من الآيتين و لامن الخارج ان اسباب العذاب كثيرة جدا ولاتختص بالصد عن المسجد الحرام

الثالث ـ ان في الآية الاولى استدعاء للعذاب واقتضائه على فرض عدم الاستغفار والثانية تثبت لهم العذاب الدنيوى فعلا لخصوص معصية الصد عن المسجد الحرام ،وان الله تعالى انما ينزل العذاب عليهم بسبب هذه المعصية وان كانوا مستغفرين.

و قد اكد التاريخ هذه الحقيقة التي اخبر عنها القرآن الكريم ، فانه لم يرداحد الصد عن المسجد الحرام الا وقد نزل عليه العذاب ، و ليس ببعيد عنا فعل يزيد بن معاوية حيث هدم الكعبه فاخذه الله تعالى بشديد عذابه و نكال نقمته ، و ما ذلك على الله بعزيز.

٣ ـ قوله تعالى. " فهل ينظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين " [٢]

قوله تعالى " فانتظروا " اى انتظروا مثل ايام الذين خلوا من قبل عاد و ثمود و غيرهم. و قوله تعالى بعد هذه الايه " ثم ننجي " ـ الخ ، راجع الى قصة الذين خلوا ، يعنى كنا اذا انزلنا العذاب نجينا رسلنا والذين آمنوا.و قوله " كذلك حقا " ـ الخ ، راجع

١ـ انفال ٣٤ـ ٣٣

٢ـ سورة الاعراف آية ٧١

الى المخاطبين من امة محمد ، فيكون حاصل معنى الاية الكريمة اخبارين .

اخبار عن الماضي اجمالا ، و هو ان الامم الذين خلوا قبلكم كان لهم بعد تكذيبهم النبي و عدم ايمانهم به ايام ياتيهم فيها العذاب و يثبت عندهم الحق حيث لاينفع نفسا ايمانها ، والله تعالى ينجي حينذاك رسله والذين آمنوا من العذاب .

والاخبار الثاني عن المستقبل ، وهو ما امر تعالى بانتظاره في قوله " فهل ينظرون " و قوله " فانتظروا " ، يعني ان هذه الامة تنزل عليها انواع العذاب كما نزلت على الامم السابقة ، ولكن لاتنزل الا بعد توفر شروط خاصة هي

الف ـ لاتنزل في زمان النبي (ص) كما قال تعالى " و ماكان الله ليعذبهم و انت فيهم " .

ب ـ لاتنزل الابترك الامة الاستغفار كما قال تعالى " " وماكان الله معذبهم و هم يستغفرون "

ج ـ لاتنزل الا بعد انذار كل المنذرين الذين عينهم الله للامة واليأس من الاصلاح كما قال تعالى " وماتغني الايات والنذر عن قوم لايؤمنون "

واذا توفرت هذه الشروط فسوق تنزل انواع العذاب و ينجومنها المؤمنون .

٢ـ قوله تعالى . " ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار و مالكم من دون الله من اولياء ثم لاتنصرون "[1]

تدل الآية الكريمة على ان المسلمين لوركنوا الى الظالمين و الكافرين لمسهم النار وانقطع عنهم ولاية الله و نصرته . و قد حمل المفسرون الوعيد بالنار و عدم النصرة على الاخرويين و ليس هناك دليل يستدل على مازعموا ، بل هو خلاف ظاهر الآية ، اذ التعبير بالمس و عدم اضافة النار الى جهنم لايلائمان مع ما في سائر الآيات المتضمنة لهذا المعنى ، فانها لو ارادت التهديد لذكرت النار مضافة الى جهنم كما في قوله تعالى " يوم يحمى عليها في نار جهنم " و" وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم " و" قل نار جهنم اشد حرا " و" فانهار به في نارجهنم " و" والذين كفروا لهم نارجهنم " و" يوم يدعون الى نارجهنم دعا " و" ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم " و غيرها من الآيات الكثيرة .

و نحتمل ان يراد بهذه النار النيران الدنيوية ، و هي القوات النارية التي

١ـ سورة هود آية ١١٣

تستعملها الدول الكبرى في هذا العصر، مثل القنابل و قذائف الدبابات و ماشابهها . . .

٥ـ قوله تعالى . " ام حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصرالله الا ان نصرالله قريب " [١]

البأساء . البأس الشديد . والضراء الضر الشديد . و تستفاد الشدة مما هو ظاهر من الآية المباركة التي تدل على انتهاء صبر الرسول والمؤمنين ، فان قوله تعالى " حتى يقول" منتهى التاكيد لبيان شدة المصيبة .

و هذا الخبر من الاخبار التي تحققت بالفعل و ظهر صدقها ، فاننا لوتصفحنا التاريخ منذ ممات الرسول حتى هذا اليوم لوجدنا ان المسلمين عامة و المؤمنين منهم بصورة خاصة في البأساء والضراء ، و هم في اشد مايكون من تحمل الاذايا والمصائب من اعدائهم والمناوئين لهم .

و ظاهر من الآية الكريمة ان المسلمين المبتلين يعتقدون ظهور نصر من الله تعالى ويعتقدون الفرج من عنده ، و هذا مما يطابق مع عقايد الشيعة الامامية الذين يعتقدون بالنصر الالهي للمؤمنين بظهور الحجة المنتظر (ع) و انه عليه الصلاة والسلام يكشف كل بأس و ضرر عن المسلمين المؤمنين .

و من انكشاف هذه الحقيقة التي اخبر عنها القرآن الكريم و وقوعها كما اخبر نستدل على ان لابد من النصر الالهي بظهور المهدي عليه السلام و صدق ماننتظره من الظهور .

٦ـ قوله تعالى : " و ان من قريه الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمه او معذبوها عذابا شديدا كان ذالك في الكتاب مسطورا [٢] " اهلاك القريه بمعنى نزول العذاب الشامل لجميع اهلها و استئصالهم وابادتهم والتعذيب في قوله تعالى "او معذبوها" عبارة عما لم يصل الى حد الاستئصال والابادة . و قد اخبر تعالى في آيات اخرى انه لم يكن يعذب قرية الا بعد خروجها عن زي العبودية و طغيانها ، فهذه الآية اخبرت عن المعلول مطابقه و عن العلة ـ و هي الطغيان ـ التزاما ، فكانه تعالى قال . و ان من قرية

١ـ سورة البقره آية ١١٤

٢ـ سورة الاسراء آية ٥٨

الاوهى تطغى و تعصى الله تعالى فى برهة من الزمان ، اذ ليس قرية لاتعصى الله اصلا .

٧ـ قوله تعالى " ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ×ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير " [١]

الآية الكريمة تشتمل على تهديد امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنوعين من العذاب الخسف ، وارسال الحاصب و هو الحجارة التى يرمى بها .

اما الخسف فمعلوم واضح ،واما الثانى فيمكن ان يكون اشارة الى بعض المخترعات التى لم يكن يفهمها اهل ذلك الزمان ، فشبهها بالحجارة التى يرمى بها كناية و اشارة ، كالقنابل والقذائف النارية وما اشبهها والافارساله تعالى بالحجارة اللتى يرمى بها لامعنى لاخباره تعالى عن ارسال هذه الحجارة مضافا الى احتمال ان يكون الحاصب لغة بمعنى مطلق مايرمى بها عند المحاربة ولايكون مخصوصا بالحجارة فيكون اخبارا عما ذكرنا .

روى ابن كثير عن ابى داود بسند عن سعد ابن ابى وقاص عن النبى (ص) انه قال انها ستكون فتنة المضطجع فيها خير من الجالس والجالس خير من القائم و القائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى قال يارسول الله (ص) ما تامرنى ؟ قال من كانت له ابل فليلحق بابله و من كانت له غنم فليلحق بغنمه و من كانت له ارض فليلحق بارضه قال فمن لم يكن له شىء من ذلك فليعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ما استطاع النجاء .

قال سعد قلت يارسول الله ارأيت ان دخل علىّ بيتى و بسط يده ليقتلنى فقال رسول الله (ص) كن كابن آدم و تلا " لئن بسطت الىّ يدك [٢] " الاية

و رواه بتفاوت يسير عن ابى موسى الاشعرى و عن ابى بكرة عن رسول الله (ص)

اقول الدفاع من الاحكام الواجبة عقلا وشرعا فيشكل قبول مضمون الروايتين مضافا الى ضعف سنديهما بابى موسى الاشعرى وسعد بن ابى وقاص فانهما وضعا هذه الرواية لتكون عذرا " من جهة عدم بيعتهما لامير المومنين (ع) نعم هما سمعا هذه الرواية من الشيطان الذى يوحى الى اوليائه ليجادل المومنين و عملابه ولكنهما لم يسمعا حديث الغدير ومئآت النصوص الدالة على امامة امير المومنين (ع) ولم يومنا بها وصارا مصداقا لقوله تعالى فان ماتا وقتل انقلبتم على اعقابكم الاية

١ـ سورة الملك آية ١٦ـ١٧

٢ـ سورة المائدة آية ٢٨

٩

التنبؤ حول اهل الكتاب عموماً

في هذا الفصل نذكر الآيات الراجعة الى اهل الكتاب بقول مطلق اليهود و النصارى والمجوس، او مايشمل اليهود والنصارى فقط، والآيات هي

١ـ قوله تعالى " مايودالذين كفروا من اهل الكتاب ولاالمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم "[١]

في هذه الآية اشارة الى ان ليس نفع المسلمين من قبل اهل الكتاب، بل هم في محاولة مستمرة لايصال الاذى بهم و خيانتهم. و هذا ماشاهده المسلمون بالفعل من عصر الرسول الى هذه الايام، و مايرى من اعتماد الامراء والحكام على الكفار ليس نتيجته الا الخسران، فالمسلم الواقعي لايصادق الكفار ولايعتمد عليهم، بل يكون في حذر دائم و خوف من مكائدهم و خياناتهم.

٢ـ قوله تعالى " ودّ كثير من اهل الكتاب لويردّوكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم انه الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير "[٢]

تخبر الآية الكريمة بما يودّه اهل الكتاب من عصر النبي صلى الله عليه وآله بان يردّوا المسلمين من دينهم الى الكفر، و معنى هذا انهم يحاولون ذلك و يهيّؤن له المقدمات حتى يظفروا على ما يريدون، ولكن في عصر النبي (ص) لم تنجح محاولاتهم

١ـ سورة البقرة آية ١٠٥

٢ـ سورة البقرة آية ١٠٩

بل كان نصيبها الفشل .

اما بعد زمن النبي فنجحت محاولاتهم شيئا فشيئا حتى تمكنوا من السيطرة التامة على بلاد المسلمين ، والاستعمار الكافر للبلاد الاسلامية في عصرنا الحاضر مما لايحتاج الى شاهد او دليل ، والكفار المستعمرون لايهمّهم شيء مثل مايهمّهم تضعيف الايمان في قلوب المسلمين وبذر الكفر في بلادهم وابعادهم عن حقيقة الدين وواقعه .

وظاهر قوله تعالى " فاعفوا واصفحوا " ان واجب المسلمين في مقابل حيلهم ودسائسهم ليس الا التمسك بالدين وعدم الالتفات اليهم وانتظار امر الله الذي هو ظهور صاحب الامر او غيره ، فانهم ان فعلوا ذلك ـ اي تمسكوا بالدين تمسكا قويا ـ لم يؤثر فيهم كيد اهل الكتاب .

٢ـ قوله تعالى " ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هوالهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جائك من العلم انك اذا لمن الظالمين " [٢]

قال الطبرسي في مجمع البيان . وهذا يدل على انه لايصح ارضاء اليهود والنصارى ، لانه تعالى علق رضاءهم بان يصير النبي صلى الله عليه وآله يهوديا او نصرانيا ، واذا استحال ذلك استحال ارضاؤهم ـ انتهى .

نعم كان الامر كما اخبر به القرآن الكريم ، فانهم لن يرضوا بدين الاسلام ولم يرضخوا للمساواة واحترام الاديان حتى الآن ، وسوف يبقون كذلك حتى آخر ايام الدنيا وماينويه بعض الدول المسيحية والاسلامية من ايجاد وحدة مشتركة واتفاق بين الدول التي تعتقد بالله تعالى ـ اعم من يهودية ومسيحية واسلامية ـ فهذا ليس اتفاقا حقيقيا على الصعيد الديني وانما هو خطة جديدة من خطط الاستعمار ولون حديث من الوان السيطرة وهو مكيدة جديدة لايرادبها الدين وانما تقوية المادة والمنافع .

٣ـ قوله تعالى " يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امرالله مفعولا " [٣]

حمل اكثر المفسرين طمس الوجوه على ردها على ادبارهم ، كما حملوا اللعن

١ـ سورة البقرة آية ١٢٠

٢ـ سورة النساء آية ٤٧

على الطمس والمسخ الظاهرى ، بان تقلب وجوههم الى جانب اقفيتهم . و فسروا المسخ بجعلهم قرودا فى شعر وجوههم و كيفية خلقتهم .

قال فى مجمع البيان .فان قلت كيف اوعدالله تعالى و لم يفعل؟ ثم اجاب عن هذا بوجوه:

(الاول) ـ ان العذاب ارتفع عنهم بايمان بعضهم و فيه ان العذاب النوعى لايرتفع بايمان بعض بل بايمان النوع والاكثريه وهذا لم يتحقق حتى الان

الثانى) ـ ان الوعيد بالطمس والمسخ يقع بهم فى الاخرة كما عن البلخى والجبائى . و فيه ان انواع العذاب فى الاخرة كثيرة لاوجه لتخصيص الطمس والمسخ بالذكر من بينها مع العلم بانهما اسهل من بقية انواع العذاب . اضف الى انهما لايختصان فى الاخرة باهل الكتاب ، بل يشمل جميع انواع الكفار .

(الثالث) ـ ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ، ولابد ان يطمس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة كما عن المبرد . اقول . هذا الوجه اصوب الوجوه و اوفقها بالآية الكريمة ولايلزم منه ماذكر فى الوجهين السابقين من الايرادات ، كما انه لم نحتج الى حمل الوجوه والادبار وكلمة الطمس على المعنى المجازى العرفانى كما صنع سيدنا الاستاذ فى تفسيره الميزان ، حيث فسر الآية بتوجه نفوسهم من الهدى الى الضلال والرجوع الى القهقرى فى طريق السعادة ، بتفصيل و بيان طويل يلزم الرجوع اليه ، ذلك لان ما افاده خلاف ظاهر الآية الكريمة ، فانها ظاهرة فى الطمس والمسخ الحسّيين عند اهل العرف . و هذا اخبار غيبى يلزم وقوعهما حقيقة على اهل الكتاب اما عند ظهور المهدى المنتظر ع) واما عند الرجعة .

١٠

التنبوء حول مستقبل اليهود

الايات الراجعة الى اليهود تنتظم فى قسمين . الاول ما دل على مستقبلهم فى انفسهم ، والثانى مادل على مستقبلهم مع المسلمين . اما القسم الاول ففيه عدة آيات

١ــ قوله تعالى . " وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون " [١]

يراد بالذلة فى الآية الكريمة ذلة النفس وفقرها و دناءتها لا الذلة الظاهرية ، فانها ليست من فقدان العشيرة او الفقر المالى او عدم القوى البدنيه او ضياع الرئاسة فقط، بل هى انقباض نفسى تأتى من هذه الامور حينا و عدم الوزن الاجتماعى او الدناءة احيانا اخرى . فاننا نرى اشخاصا يشعرون فى قرار انفسهم بالهوان والصغار ولايرون لهم وزنا محترما فى الاوساط الاجتماعية ، فكانهم زائدة دوريه تعيش فى المجتمعات البشرية ينظر اليها بعين الازدراء ، هذه الحالة هى الذل الحقيقى و هى الذلة بعينها .

ولورجعنا الى البحث عن الاسباب التى تسبب تكوين هذه الحالة فى بعض النفوس المريضه لنجدها مسببة عن الفقر والمرض و مايشببها من الماديات ، كما انها قد تكون مسببة عن اشياء معنوية مع توفر كل الماديات .

هذا موضوع واضح كل الوضوح لايحتاج فى اثباته الى الاستشهاد بالآيات والاحاديث وكلمات الفلاسفه والمفكرين ، فان مطالعة طفيفة فى احوال الناس تظهر هذه

١ــ سورة البقرة آية ٦١

الحقيقة جلية ساطعة لاتقبل جدلا او انكارا ، كم من غنى وضيع النفس لايقام له وزن فى المجتمع ، وكم من فقير عزيز النفس لايخضع لذى مال ، و كم من رئيس فقد شخصيته يبسبس كالكلب لادامة رئاسته ، و كم من مرؤوس كالجبل الاشم لايطأطئ رأسه مهما كانت الظروف ، كم من ذى عشيرة يصبح اضحوكة يستهزاء به ، و كم من وحيد يحتفظ بوقاره و احترامه؟

و من هنا ربما يعلم ان المسكنة المذكورة فى الآية ايضا ليست الاحتياج الحقيقى و انما هى فقر النفس و عدم غناها كما يظهر من كلام الطبرسى ايضا اذ قال . لم ير يهودى واحد عزيز النفس غنى الطبع .

و بعد هذه المقدمة نقول . ان الله تعالى اخبر عن اليهود انهم ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، و يراد بالضرب هنا اللزوم ، والمعنى ان الذلة والمسكنة لزمتهم طول حياتهم ولاتبرحهم ابدا ، و هذا كما يضرب النقش على السكة فيلزمها مادامت موجودة .

و نظرة فى تاريخ اليهود و احوالهم كفيلة بان تدل على انهم مابرحوا اذلاء مساكين فى ظاهرهم و باطنهم ليس لهم مكان محترم فى المجتمع الانسانى . و للتدليل على ماذهبنا اليه لاباس بان نتوسع فى الموضوع فنذكر ملة اليهود فى المال و العشيرة و كيفية الكسب و كيفية التعيش لنأخذ النتيجة بانهم اذلاء مع توفر هذه الاشياء لديهم .

ا ـ لاشك ان اليهود اكثر الناس اموالا حتى قيل ان محور الاقتصاد فى اكثر البلدان الرأسماليه فى الحال الحاضر بيد اليهود ، و لكن ياترى هل المال وحده كفيل بان يجلب العزو الشرف لصاحبه؟ لا ، ليس هذا من شان المال مالم يصرف و يبذل فيما يجب فيه البذل لكى يكسب ذا المال العز والعظمة .

واليهود ـ كما يعرف الكل ـ هم من ابخل الناس و اخسهم ، ولايعرفون من حياتهم شيئا الا السعى الحثيث وراء جمع المال واختزانه و اكتنازه ، كما ان دأبهم التقتير على انفسهم ليحققوا آمالهم الوضيعة فى سبيل المحافظة التامة على مايستحصلون من الدنانير والدراهم ، و مع هذه اللئامة فهل تتوقع لهم الشرف؟ و هل هذا الاالذل بعينه؟

٢ـ المعروف المشهود ان اليهود لايتخاصمون مع احد ولايتثبتون فى نزاع ، بل يلجأون دائما الى التظاهر بمظاهر المظلومية و يبدون و كانهم خائفون مما حولهم وجلون ، فحينما يتلقون ضربة او شتمة لايردونها بالمثل بل ملجؤهم البكاء والعويل . وهذه ظاهرة من ظواهر الذل والهوان يأنف عنها نرو والاباء والاخلاق الرفيعة ، والعزيز فى نفسه كما انه لايقبل ان يعتدى على احد كذلك لايرضخ الاعتداء احد عليه بل يرد المثل بالمثل .

٣ـ واليهود فى اختيار مهنهم ايضا شاذون بعيدون عن الشرف ، فكثير منهم يتكسبون باشياء تافهة خسيسة لاتستسيغها النفوس الابية العزيزة التى تحسب لكرامتها حساب ، ترى فيهم من يشترى و يبيع البضائع القذرة العفنة كالملابس البالية والاخذية العتيقة والفرش المقطع ، ومنهم من يحمل على ظهره شيئا من الاقمشة الرخيصة و ينادى على بضاعته بصوت اجش فيه كل الذل والهوان ، و منهم من يجمع اصول الادوية من البوادى والصحارى فيطوف فى البرارى القفرة او المستنقعات العفنة لكى يقع على شىء من النبات يستفيد من ورائه بعض النقود ، و منهم من يفتش فى القمامات والزبل ليلتقط منها اشياء يبيعها .

٤ـ واما اليهود فى حياتهم اليومية فهم متقمصون فى القذارة والاوساخ ، و يكفيك ان تدخل فى مدينة يسكنها جماعة من اليهود لترى اقذر محلاتها هى مساكنهم و بيوتهم ، تسطع منها روائح عفنة كانها مرابض الحيوانات التى تعيش فى الاوساخ والاوحال ، ولايستنكفون من الجلوس على التراب والاقذار كانها اعشاب عبقة يبهجون بها ارواحهم .

٥ـ واما ملابسهم و مظهرهم الخارجى ففيها الكثير من البشاعة والدناءة . فلا اعتناء بالغسل والكوى و اختيار القماش المناسب للحال ، و ربما تحمل بعض الرقع التى لاتناسب اللون والشكل .

٦ـ و هم ايضا على هيئة تبدو عليها كثير من الحقارة والذل ، فهم مطأطئوا الرؤوس كالفقراء المعوزين الذين لايرفعون رؤوسهم صغارا ، واعضاء وجوههم منقبضة كالخائف الشاك فى نفسه الذى يرى ان لاقيمة له بين الناس ، و يمشون مشية العبيد ظاهرة عليهم المسكنة ، واذا تكلموا تكلموا بخضوع زائد مستغرق فى فقدان الثقة بالنفس .

٧ـ و مصيبة اليهود العظمى انهم لم ينالوا فى تاريخهم الطويل رئاسة تذكر ، و كانت لهم فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مواقف مشجعة للعرب المشركين ضد النبى و بعض الحروب لازالة سلطانه عن جزيرة العرب واخماد حركته الدينية و لكن باءت كل مواقفهم المخزية بالفشل الذريع ، كما انهم بعد الرسول و فى ايام خلفاء بنى امية و بنى العباس لم يكن لهم خطوة تذكر فى السياسة والرئاسة الاماذكروا من رئاسة سندى بن شاهك اليهودى على شرطة بغداد ايام الرشيد العباسى .

٨ـ و من جهة اخرى فان اليهود متفرقون فى اقطار العالم متشتتون فى انحاء الارض لاتجمعهم جامعة متينه ولم يوجدوا لهم دولة يستقرون فى ظلها و يرتاحون فى

افيائها ، ولفلسطين و دولة اليهود حديث خاص سوف ناتى عليه فى فرصة مؤاتية .

هذه احوال اليهود وحالاتهم ، و كلها ذل و حقارة ودناءة يترفع عنها من له نفس عزيزة واباء وشمم ، ومالم نذكره من ضعة نفوسهم وخساستها اكثر مما ذكرنا ، و يكفى فى عدم قيمتهم فى المجالات ان الدين اليهودى اسبق من المسيحيه والاسلام و لكن اليهود متأخرون فى كل الميادين ليس لهم شأن يذكر .

٢ـ قوله تعالى " ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم و تخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان و ان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى اشد العذاب و ماالله بغافل عما تعملون "[١]

الظاهر ان المراد من الـ " خزى فى الحياة الدنيا " الذلة و المسكنة المذكورة فى الآية السابقة و غيرها ، والفرق بين الآيتين ان الآية السابقة لم تبين السبب فى ابتلائهم بالخزى وهذه الآية بينتها بصورة مفصلة ، و هى قتل النفس واخراج بعضهم بعضا من ديارهم . . .الخ

٣ـ قوله تعالى " بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيًا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب و للكافرين عذاب مهين "[٢]

فسر الغضب على غضب بتحريفهم للتوراة و كفرهم بالنبى صلى الله عليه وآله اوكفرهم بالنبى والقرآن . و هذه اسباب توجب غضب الرب وليست هى الغضب بعينه كمالايخفى على المتدبر ، واستعمال الغضب فى المسبب ـ و هو العذاب ـ اكثر فى القرآن و بقرينة سائر الايات الواردة فى بنى اسرائيل يراد من الغضب الهوان و الخزى فى الدنيا والعذاب المهين فى الاخرة كما ذكروا فى نظائر هذه الاية .

و هذه الآية الكريمة تبين سببا من اسباب ذلة اليهود و خستهم ، الا و هوالكفر و الجحود بما انزل الله تعالى على انبيائه ، فان ترك سبيل الحق و اتباع طريق الغواية من ارذل انواع الذل والهوان كمالا يخفى .

٤ـ قوله تعالى . " ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم و ذلة

١ـ سورة البقرة آية ٨٥

٢ـ سورة البقرة آية ٩٠

في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين "[١]

الآية الكريمة تشبه الآيات السابقة في بيان غضب الرب على اليهود و مبلغ ذلهم ، و تستعرض سببا آخر من اسباب الذل الذي اصيبوا به ، ذلك هو اتخاذهم العجل معبودا يتوجهون اليه بالعبادة دون رب العالمين . وهذا هو عين الذلة والحقارة ، فان العبادة ليست الا اظهار الخشوع التام والخضوع الكامل للمعبود ، و اذا كان المعبود حيوانا خسيسا بمكان من الذلة فماذا يكون حال الذي يعبده و يخضع له .

٥ـ قوله تعالى " واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العذاب وانه لغفور رحيم "[٢]

ذكر امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان ان المراد بقوله " من يسومهم " امة محمد صلى الله عليه وآله عند جميع المفسرين ، و هو المروى عن ابي جعفر عليه السلام

اقول . الرواية المروية عن ابي جعفر عليه السلام جعلت امة محمد مصداقا من مصاديق الآية الكريمة وانهم ممن يسوم اليهود سوء العذاب ولم تدل على اختصاصها بهم . واما ما قاله المفسرون فالظاهر منه ان الذين يسومون اليهود مأمورون به من عند الله تعالى فلا يكون غير المسلمين .

وفيه . ان " البعث " في المقام بقرينة دوامه الى يوم القيامه و عدم توصيف المبعوثين بصفة غير كونهم وسيلة لتعذيب اليهود ظاهر في ارادة التحريك التكويني لا الاذن الشرعي او الامر ، و هو مثل ما في قوله تعالى " انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " ، و اذا فلا مانع من حمل الاية على العموم و عدم اختصاصها بالمسلمين خاصة ، فتشمل كل من تسلط على اليهود من مسلمين و غير مسلمين ، كتسلط بخت نصر و النصارى و هتلر والعرب و غير هولاء عليهم . و لو سبرنا التاريخ بدقة لرأينا اليهود في كل العصور تقريبا هم تحت سيطرة غيرهم يحكمون عليهم بما يشاؤن و هم اذلاء صاغرين كما اخبرت الآية الكريمة .

واما القسم الثاني من الآيات التي وردت في اليهود فهي الآية الواردة في مستقبل اليهود مع المسلمين ، و هي :

١ـ سورة الاعراف آية ١٥٢

٢ ـ سورة الاسراء الاية ٤ الى ٨

قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى اللتى انعمت عليكم و انى فضلتكم على العالمين و آمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوا اول كافر به ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلاً وايای فاتقون

هذه الآيات تنهى بنى اسرائيل عن معاصى كانوا مرتكبين لها او كانوا فى معرض ارتكابها فى المستقبل كما هو ظاهر من نفس الاوصاف المذكورة فى الآيات و الاخبار لليهود و من مراجعة التواريخ فكانها انشاء بمعنى الاخبار بمنزلة ان يقول يا بنى اسرائيل انتم لاتؤمنون بالقرآن و تكونون اول كافر به و تشترون به ثمنا قليلا و قد ذكر وافى معنى اول كافر وجوهاً احسنها و انسبها لسياق الآية ان يراد به ما ذكره الطبرسى ناقلا عن ابى العالية ان المراد باوّل كافر شدة كفرهم و عداوتهم للقرآن واهله و انما قلنا ان هذا هو الظاهر لقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و على هذا تدل الاية على ان مقاومة اليهود فى مقابل القرآن وعداوتهم مع المؤمنين يكون اشد من غيرهم و هذا صحيح من جهة ان مالاقاه المسلمون من اليهود كان اعظم ما اصابوه من المصيبات من اول طلوع الاسلام الى الان كما سياتى فى قوله تعالى لتجدن اشد الناس الخ

١١

تنبؤ القرآن عن مستقبل حرب العرب مع اسرائيل

القرآن الكريم يتكفل كل مايحتاج اليه البشرية من امور الدين و الدنيا فهو يحتوى على القوانين والدساتير والانظمة التى لابد للناس منها فى تنظيم امور معاشهم و معادهم وفى الوقايع والحوادث التى تتجدد مع مرور الزمن .

و من جملة الحوادث التى شغلت افكار المسلمين فى السنين الاخيرة و كان لها صدى هائل فى نفوسهم قضية فلسطين و ماجرى فيها من القتال الدامى بين المسلمين واليهود . . . فهل فى القرآن مايشير الى هذه الحادثة والانباء عنها ؟؟

لقد وقع فى روعى ان اسير الايات الكريمة لعلى اجدما يناسب هذا الحادث العظيم بدأت بالفحص والبحث وكانت نتيجة ذالك آيات ساتنا ولها بالبحث ليرى القارى الكريم مدى دلالتها على ما احاول اثباته .

ولابد ان اصارح القارى الكريم . اننى راجعت مايقوله المفسرون حول هذه الايات فوجدتهم يفسرونها بما يتنافى مع منطق العقل والذوق السليم لفهم كلام الله المجيد واخص بالذكر منهم اباجعفر الطبرى فانه فسر هذه الايات بقصص اسرائيليه مخالفة للعقل والنقل منقولة عن امثال وهب بن منبه و عبدالملك ابن جريج و كعب الاحبار و اضرابهم كما هو دأبه فى تفسيره و تاريخه فانه قد ملأهما بالخرافات والدسائس الاسرائيلية .

و بعد التامل رأيت ان مضامين الآيات تأبى عن الحمل على ما ذكره من الوجوه و تنطبق تمام الانطباق على قضية فلسطين التى يعانيها المسلمون اليوم .

ان انطباق هذه الآيات على قضية فلسطين بشرى عظيمة للمسلمين تبعث فى قلوبهم الامل و تدفعهم الى الصبر فى الكفاح والعزيمة على الاستمرار فى بذل الجهود

والطاقات رجاء الفتح والنصر والغلبة على اليهود اعداء الله و اعداء الانسانية.

و لهذا رايت من الضروري الكلام حول هذه الآيات و بيان ما ارتأيه في تفسيرها لعلي اساهم بهذا في قضية اسلامية تهم الجميع.

و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين و لتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعدا ولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسو اخلال الديار و كان وعدا مفعولا ان احسنتم احسنتم لانفسكم و ان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا و جعلنا جهنم للكافرين حصيرا [1]

١ـ روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس ان المراد بالفساد الاول قتل يحيى ابن زكرياء وبالانتقام الاول هجوم بخت نصر مع النبط وغلبته على بني اسرائيل و مساعدة فارس اياهم ،والمراد بالفساد الثاني غلبة بني اسرائيل على النبطيين مرة ثانية اما الانتقام الثاني فلم يتعرض له في هذا القول.

٢ـ روى الطبري ايضا عن وهب ابن منبه ان الفساد الاول هو قتل؟ زكريا ، و الثاني قتل يحيى ابن زكريا ، والمراد بالانتقام الاول تسلط سابور ذي الاكتاف وبالانتقام الثاني هجوم بخت نصر على اليهود.

٣ـ و يروى الطبري ايضا عن سفيان الثوري عن النبي صلى الله عليه و آله ان المراد بفسادهم الاول قتل زكريا و غيره من الانبياء ، و بالانتقام الاول تسلط بخت نصر على اليهود ، والمراد بالفساد الثاني طغيان اليهود بعد استقلالهم بيد كوروس ملك ايران ، وبالانتقام الثاني ماوقع بيد انطياخوس ملك الروم ثم ذكر انتقاما ثالثا في تفسير الاية وقع بيد " سيا " الثالث ملك رومية.

٤ـ ان يكون الفساد الاول عباره عن قتلهم لشعيا النبي (ع) ، والانتقام الاول تسلط جالوت على بني اسرائيل ، والفساد الثاني غلبه بني اسرائيل على جالوت و لم يتعرض لبيان الانتقام الثاني اصلا.

٥ـ ان يراد باحد الانتقامين هتلر عملاق المانيا كما اشير اليه في تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب.

وهناك وجوه اخرى تحصل من تركيب الاحتمالات السابقة، او انها تشترك معها في الاشكالات التالية فراجعها و تدبر فيها و في ناقليها فانك ترى اكثرهم من اليهود او من كان ياخذ عنهم كثيرا.

بطلان هذه الوجوه

١ــ ذكر في الوجه الاول والثاني والثالث ان علة تسلط بخت نصر على بنـــي اسرائيل هوالاخذ بثار يحيى ، و هذا لايصح لان بخت نصر كان معاصرا لدانيال[١] اوارميا[٢] النبي .

و كانت مجزرته قبل ان يولد يحيى (ع) بستماة سنة تقريبا[٣] و مع ذلک كيف يمكن ان يكون قتاله للانتقام ولاخذ ثار يحيى (ع)

٢ــ ظاهر كلمة بعثنا كون المبعوثين جماعة منسوبين الى الله تعالى فتدل على انهم مؤمنون من وجهين .

(الاول) من جهة مادة" بعث " المستعملة في القرآن في ثمانية و ستين موردا ففي اربعة و ستين منها كان البعث والنهضة امرا الهيا والمبعوثون في اكثر هذه الموارد موصوفون بشيء من المدح ، و في الموارد الاربعة الاخرى كان البعث مشكوک الحال .

الثاني من جهة هيئة" بعث " المنسوب اليه تعالى فان هذا المعنى سواء كـــان بصيغة " بعثنا " او " نبعث " استعمل في القرآن في ثلثه عشر موردا في اثنى عشر منهـــا البعث والمبعوث كلاهما ممدوح وفي واحد منها البعث ديني ممدوح ولكن المبعوثين لـــم يكونوا ممدوحين و هو قوله تعالى مخاطبا لبني اسرائيل (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)[٤]

فيعلم من مجموع ماذكرنا ان مادة " بعث " و ما يشتق منها خصوصا اذا نسب اليه تعالى لها ظهور قوى في ارادة المدح وكون البعث بعثا دينيا الهيا والمبعوثين ايضـــا ممدوحين وهذا يبطل ما ذكر في تفسير الاية من انطباقها على بخت نصر الكافر السفاک الذي ولد من السفاح واقترف الجرائم ايام ملكه ، او على سابور ذي الاكتاف الذي فعـــل مع العرب ما تشئمزمنه النفوس لاجل اخبار كاهن بان ملک العجم سيزول بيد رجل من العرب[٥] او على انطياخوس السفاک اوجالوت الكافر او هتلر وحاله في الجنايه اشهرمن ان يذكر او غيرهم من الكفار والجبابرة فانه لايعقل ان يبعث الله بخت نصر لتخريـــب

١ــ تفسير الطبرى المجلد ١٥ ص ٣٨

٢ــ تفسير الطبرى المجلد ١٥ ص ٣٨

٣ــ تفسير الميزان المجلد ١٣ ص ٤٥

٤ــ البقره الايه ٥٦

٥ــ تنقيح المقال للمقانى المجلد الثالث ترجمه المختار ابن ابى عبيده

بيت المقدس و جعله مزبله واصطبلا للحيوانات [١] او يبعث جالوت على محاربة داود النبى و من معه من صالحى بنى اسرائيل خصوصا طالوت الذى بعثه الله ملكا ، او يبعث سابور لاستيصال العرب ، او يبعث هتلر لاستيصال نسل البشر كله كما كان يترقب فى الحرب العالمى الثانية.

٣ـ ان لفظة" العبد " و فروعها تستعمل غالبا فى المدح بحيث كاد ان يصير من الفاظ المدح الصريحة و ذالك لان هذه اللفظة استعملت فى القرآن فى خمسة و سبعين موردا فى خمسة منها لم يظهر كونها فى مقام المدح و فى سبعين موردا منها استعملت فى مقام المدح باعلى مراتبه ، كقوله تعالى " فاوحى الى عبده ما اوحى "[٢] و قوله" سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى "[٣] و قوله" و عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا "[٤] و امثال هذه فى الآيات الاخرى فلا يناسب ان يراد بكلمة" عبادا لنا " بخت نصر و جالوت و سابور و هتلر و اضرابهم .

و قد ذكر بعض الاعاظم من اساتذتنا فى تفسيره انه لما كان تسلط بخت نصر و قتاله مكافاة لاعمالهم السيئة فلهذا ناسب ان يقال فيهم " بعثنا عليكم عبادا لنا "[٥]

و هذا الجواب انما يتم لوكانت الآية بلفظ ارسلنا الذى يستعمل فى المدح والذم كقوله تعالى " انا ارسلنا الشياطين على الكافرين توزهم ازا "[٦] و اما مادة" بعث " فقد بينا اختصاصها بالمدح خصوصا عندما تنسب اليه تعالى .

وعلى فرض صحة هذا الجواب يرتفع الاشكال من ناحية كلمة" بعثنا " و اما الاشكال من ناحية كلمة" عبادا لنا " فهو باق على حاله ، اذ لايصح ان يعبر عن الكفار الذين سلطهم الله على الموحدين بهذه الكلمة الداله على عناية خاصة للمبعوثين كما مر.

٤ـ مقتضى الظاهر ان يعود ضمير " عليهم " فى قوله تعالى " ثم رددنا لكم الكرة عليهم " و ضمائر" ليسوؤا " و" ليدخلوا " و" دخلوا " و" ليتبروا " الى الجماعة

١ـ تفسير الطبرى المجلد ١٥ ص ٣٥

٢ـ النجم آية ١٠

٣ـ الاسراء ١

٤ـ الفرقان ٦٣

٥ـ الميزان ج ١٣ ص ٤٠

٦ـ مريم ٨٣

المذكورين اولا بكلمة " عبادا لنا " ، اذ ليست في الآيات قرينة حالية او مقالية تدل على عود الضمير على غير المذكورين اولا بكلمة " عبادا لنا " ، و لازم هذا ان اليهود بعدان يتغلبوا على عدوهم في المرة الاولى ترجع لهم القوة و تكثر اموالهم و اولادهم ، فتكون لهم السيطرة على اولئك بعد المغلوبية . و يلزم من هذا اتحاد الفئة التي تحارب اليهود في المرة الاولى مع الفئة الغالبة عليهم في الثانية ، و ان هناك حربين تقعان بين اليهود و بين جماعة معينه، لا ان كل واحدة من الحربين تقع مع جماعة غير الجماعة الاخرى .

و هذا ايضا يرد جميع ما ذكر من الوجوه لعدم غلبة اليهود و كرتهم على اي من الجماعات المذكورة ، و ذلك لان اليهود بعد ما توفي بخت نصر بقوا اسراء في ايدي ملوك بابل قريبا من مأة سنة ، فان اربعة من الملوك بعد بخت نصر وضعوا اليهود في قيد الاسارة [1] حتى اطلقهم كورس الكبير من ايدي البابليين ، و لم يقع بين اليهود و بين البابليين بعد ذلك حرب ابدا ، و كذا في قصة سابور لم تقع لليهود كرة عليه اصلا ، كما ان هتلر و غيره ممن ذكر في التفاسير لم يقع بين احدهم و بين اليهود حربان ولاوقعت لليهود غلبة عليهم .

٥ــ المراد بالمسجد في قوله تعالى " وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة " هو المسجد الاقصى ، لاجماع المفسرين عليه ، ولانه المسجد المعهود عند اليهود ، لو كان اللام في " المسجد " للعهد الذهني و كذا لوكان اللام للعهد الذكرى فان المسجد الاقصى ذكر صريحا قبل ثلاث آيات في اول السورة بقوله تعالى " سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى " .

و عليه فتدل الاية الكريمة على ان اولئك العباد سيتسلطون على بيت المقدس مرتين وهذا لايتفق مع ماوقع لبخت نصر وسابور وجالوت و هتلر و غيرهم ، فان بعضهم كهتلر لم يتسلط على بيت المقدس حتى مرة واحدة ، و بعضهم كبخت نصر و جالوت لم يتسلط مرتين بل مرة واحدة ، فلايصح ان يقال فيهم " وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة " .

و اما ارجاع ضمير " ليدخلوا الى بخت نصر و ضمير " دخلوا " الى سابور من دون قرينة ــ كما نقل عن بعض ــ فهذا يجعل الاية من المعميات والاحاجي و هو بعيد كل البعد عن الذوق الادبي السليم .

١ــ ايران قديم ص ١٦٤

٤ـ ظاهر التعبير بكلمة" ليسوؤا " و" ليدخلوا " و" ليتبروا " خصوصا مع الاقتران بكلمتى اذا و ان الشرطيتين ، ان يكون مفادهما امرا استقباليا كما نذهب اليه ، واما على سائر الاقوال فيكون ماضيا ، ولاتصح التعابير المذكورة التى هى بلفظ الاستقبال .

و ربما يتوهم ان كلمة" جاء " و" جاسوا " و " بعثنا " ذكرت بلفظ الماضى فتكون مربوطة بالماضى لابما سياتى فى المستقبل .

والجواب عن هذا التوهم . ان ظهور المضارع فى معناه اقوى من ظهور الماضى خصوصا مع الاقتران بادوات الشرط كما مر مضافا الى ان الامر المستقبل اذا اريد الاشارة الى كونه محقق الوقوع يعبر عنه بلفظ الماضى كقوله تعالى " اذا وقعت الواقعة " و ما اشبهه .

نظرات اخرى فى الايات

ان ما ذكرناه من وجوه النقض فى اقوال المفسرين نظرات عامة فى الموضوع وفى ادناه نذكر وجوها اخرى تخص بعض التقاط المذكورة فى اقوال المفسرين .

١ـ عد فى القول الاول حرب بنى اسرائيل مع النبط ـ و هم قوم من الكفار فسادا فى الارض و علوا كبيرا ، مع العلم بانها دفاع واجب عقلا و شرعا و الدفاع الواجب لايمكن اعتباره فسادا فى الارض .

٢ـ فى الاحتمال الثانى جعل سابور ذاالاكتاف مقدما فى الزمان على بخت نصر مع ان مولد سابور كان فى سنه ١٣١ ميلادية[1] ، و كان معاصرا " لنزار" جد النبى (ص)[2] و كان عصر بخت نصر مقدما على ميلاد المسيح قريبا من ستماة سنة[3] ، و قد حكم على ايران من زمن بخت نصر الى زمن سابور قريبا من سبعين ملكا .

٣ـ فى الاحتمال الثالث زاد انتقاما ثالثا بيد " سيا " الثالث ملك رومية ، و هذا مخالف لصريح الايات ، فان مفاد قوله تعالى " وليتبروا ما علوا تتبيرا " ان بنى اسرائيل بعد الانتقام الثانى ستنقطع آثارهم و مع انقطاع الاثر لايتصور لهم فساد ثالث حتى يحتاج الى انتقام ثالث .

٤ـ فى الاحتمال الرابع عد حرب بنى اسرائيل مع جالوت فسادا فى الارض وعلوا

١ـ ايران قديم ص ١٦٤

٢ـ تنقيح المقال المجلد ٣ ترجمة المختار ابن ابى عبيدة

٣ـ الميزان ج ١٣ ص ٤٥

كبيرا ، مع ان هذه الحرب بصريح القرآن وقعت بامر من الله تعالى و اشترك فيها داود النبى [١]

القول المختار.

الاحتمال الصحيح فى تفسير الآيات كونها منطبقة على الحوادث الجارية فى المنطقة العربية من الشرق الاوسط ، و هذا الاحتمال و ان لم نجزم به الا انه ليس فى الآيات ما يابى عن انطباقها عليه ، بل جميع ما تشير اليه الايات موجودة فى هذه الحوادث و منطبقة عليها .

فان العرب اكثرهم مسلمون مؤمنون بالله بحسب دينهم ، فيصح التعبير عنهم بكلمة " عبادالنا " و عن نهضتهم بكلمة " بعثنا " و حيث انهم ذوشجاعة و شهامة فيصح التعبير عنهم بكلمة " اولى باس شديد " ، و قد وقع بينهم و بين اليهود جريان فيصدق قوله تعالى " ثم رددنالكم الكرة عليهم " ، و حيث ان المسجد الاقصى كان داخلافى محل النزاع يأخذه العرب مرة واليهود مرة اخرى يصدق قوله تعالى " وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة "

وبشى من الاسهاب نقول . حاصل هذا الاحتمال ان القرآن الكريم فى هذه الآيات اخبر عن اربعة حوادث تقع فى المستقبل ، و قد وقع الى زماننا هذا ثلاثة منها و ننتظر وقوع الرابعة ، و هذه الحوادث هى فساد ان و انتقامان .

الاول . فساد بنى اسرائيل و استعلاؤهم ، و هو تأسيس الصهيونية العالمية و ادعاؤهم التفوق الذاتى على كل شعوب العالم ، و خصوص تعديهم على المسلمين بقتلهم و اخراجهم من بلادهم قبل ثلاثين سنة تقريبا . و هذا هو المراد بقوله تعالى " لتفسدن فى الارض مرتين و لتعلن علوا كبيرا " فتكون هذه هى المرة الاولى من فسادهم .

الثانى . الانتقام الاول ، فان الدول العربية عند ماصدمتهم مظالم اليهود اجتمعوا فى صف واحد و حاربوهم بباس شديد ، فجاسوا خلال الديار و لم يتركوا فى البلاد العربية يهوديا الا قتلوه او اخرجوه منها و اخذوا بيت المقدس منهم . و هذا هو المراد بقوله تعالى " فاذا جاء وعدا اوليهما بعثنا . . . "

الثالث . كرة اليهود على العرب و غلبتهم على المسلمين و كونهم اكثرا موالا

١ــ البقرة آية ٢٤٦

لمساعده الدول الكبرى اياهم و اكثر عدد الكثرة العارفين بالحرب الفنى فيهم ،فاستولوا على اراضى العرب و احتلوا كعبتهم الاولى بيت المقدس و هزموهم فى مواقع من الحرب التى شنواها عليهم ، و هذا ما وقع قبل مدة ، و هو قوله تعالى " ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . "

الرابع . غلبة العرب على اليهود مرة ثانية غلبة ظاهرة تكون لهم السيطرة عليهم ، فيسترجعون المسجد الاقصى و يدمّرون اليهود و يقتلون من ظفروا به من هذه الطغمة الفاسدة . و هذا مالم يقع بعد و ننتظر وقوعه ، و هوالذى اشير اليه فى قوله تعالى " فاذاجاء وعدالاخرة " ولكن انتصار رمضان ١٣٥٤ بشر المسلمين بمقدمات الفتح والظفر .

و فى آخر الايات اشير الى نكتة مهمة ، و هى رجاء العفو و الغفران من الله تعالى لليهود ، وهذا يتحقق اما باسلامهم او باستسلامهم ، فتكون السيطرة التامة للاسلام والمسلمين ويصبح اليهود خاضعين لهم لاتقوم لهم قائمة فى الارض، و هو ما اشير اليه فى قوله تعالى " عسى ربكم ان يرحمكم . . . "

اليس الصبح بقريب .

تتمه . قال الاستاذ الطباطبائى دام ظله . والذى يظهر من تاريخ اليهود ان المبعوث اولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر و بقى خرابا سبعين عاما ، و المبعوث ثانيا هو قيصر الروم اسپيانوس ، و ليس من البعيد ان يكون الحادثتان هما المرادتان فى الآيات . الى ان قال ولايبعده الاماتقدمت الاشاره اليه فى تفسير الايات ان فيها اشعارا ان المبعوث اليهم فى المرة الاولى والثانية قوم باعيانهم ، و ان قولهم "ثم رددنا لكم الكرة عليهم " مشعر بان الكرة من بنى اسرائيل على القوم المبعوثين عليهم اولا ، و قوله " ليسوء وجوهكم " مشعر بان ضمير الجمع يرجع الى ماتقدم من قوله " عبادا لنا " . ثم قال . لكنه اشعار من غير دلالة ظاهرة ، لجواز ان يكون المراد كرة من غيربنى اسرائيل على اعدائهم و هم ينتفعون بها ، و ان يكون ضمير الجمع عائدا على ما يدل عليه سياق الكلام من غير ايجاب السياق ان يكون المبعوثون ثانيا هم المبعوثون اولا .

اقول . هذا الجواب عجيب جدا و غير مستقيم بوجه من الوجوه ، اذ انكار ظهور رجوع الضميرين الى العباد و دعوى رجوعه الى غيرهم يستدعى ابهام جميع مراجع الضمائر و عدم وضوح معنى الكلام . مثلا لوقلنا فى " اهنت زيدا ثم اكرمته فاكرمنى " لعل ضمير اكرمته راجع الى عمرو و ضمير اكرمنى راجع الى بكر غير المذكورين فى الجملة لاصبحت الجملة المذكورة كالالغاز والاحاجى التى تحتاج الى تمحلات و تاويلات بعيدة

تخرج الكلام عن وضوحه.

اقول عودا على بَدء. لو رجعنا الى امثال هذه الاحتمالات البعيدة لما بقى لنا كلام مفهوم واضح المعنى بيّن المرمى، فالاولى التحفظ على ظاهر الايات ـ كما قالوا به دام ظله ـ ثم تطبيقها على ما يمكن التطبيق عليه من الاحداث والقضايا التاريخية، اما اذا لم ينطبق الكلام على ما حدث فالاحسن التوقف و عدم التسرع فى الكلام. و قد عرفت مما سبق ان الآيات تنطبق على الحربين الواقعتين فى زماننا كما احتمل الجبائى ان تكون راجعة الى المستقبل.

٢ـ قوله تعالى " و قلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا " [١]

" اللفيف " المجتمع بعضه على بعض والمشدود بحبل و نحوه، و لعله كناية عن الاسر والسبى والحبس التى هى كالقيود التى تشد على الشخص فلا تدعه ينطلق فى السير.

ذكر المفسرون ان المراد بوعد الاخرة هو يوم القيامة. و قال سيدنا الاستاذ دام ظله. لعله ماذكره تعالى فى اول السورة بقوله " فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤ وجوهكم "، واستشهد بان مجيئهم لفيفا يوم القيامة لايتفرع على اسكانهم فى الارض بعد فرعون، و اما على ماذكرنا فيتفرع عليه من جهة ان انجاءهم من فرعون كان مظنة لهم انهم عزيزون عند الله تعالى و انه لايعذبهم و انهم يسكنون الارض المقدسة دائما، فاخبرهم الله تعالى ان سكونهم فيه ليس دائميًا بل الى وقت وعد الاخرة ـ الى آخر ماذكره.

اقول. الصحيح هو ماذكره الاستاد لاماذكره المفسرون، و نحن و ان كنا نتفق معه فى اتحاد " وعد الاخرة " المذكور فى اول السورة وآخرها، الا اننا نختلف معه فى تفسير وعد الاخرة عنا بسبيهم الى بابل كما صنع فى اول السورة مع تردد فى ذلك، وقد سبق التفصيل و اسباب عدم موافقتنا له فيما ارتآه.

و بودنا ان نزيد هنا على ما سبق. ان ظاهر التفريع فى قوله تعالى " فاذا جاء " على قوله " و قلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض " فى هذه الاية، انهم بعد وعد الاخرة ينتهى بسكونهم فى الارض المقدسة، مع العلم ان اليهود سكنوا الارض المقدسة بعد اسارتهم الى بابل مرارا و حصلت لهم العظمة و الملك. و كذا ظاهر قوله " جئنا بكم لفيفا " القضاء عليهم و قطع فتنتهم من وجه الارض الى الابد، كما كان هو الظاهر من قوله

١ـ سورة الاسراء ١٠٤

" وليتبروا ماعلوا تتبيرا " ، فان مقتضاه تتبير اليهود واستئصالهم وافنائهم . و هذه كلها شواهد على حمل الآيتين على امر مستقبل ، و هو استئصال اليهود و تدميرهم بيد المسلمين .

٣ـ قوله تعالى . " اوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل اكثرهم لايؤمنون "[١]

الاستفهام توبيخي يدل على تحقق وقوع مابعد الهمزة في موطنه اما في الماضي اوالمستقبل او مطلق الزمان بدون توقيته بوقت خاص ، و ظاهر الآية يدل على ذم اليهود بخلف العهد و نبذه و عدم الوفاء به ، و ان هذا دابهم و صفتهم اللازمة بهم في كل الاوقات و الازمان ، و لهذا اتى بلفظ " كلما " الدال على العموم .

و يستفاد من الاية ان الدول الاسلامية لايصلح لها ان تكون لها معاهدة مع اليهود ، ذلك لان اليهود لايفون بالوعد ولايلتزمون بالعهد على طول الخط ، و دابهم المستمر و سيرتهم المتاصله فيهم الخيانه و نبذ العهد ومن كان هذا سيرته و ديدنه فليس الصلوات معه الا نوعا من جلب المتاعب والمصاعب ودفع المصالح والمنافع .

٤ـ قوله تعالى . " قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين × ولايتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين "[٢]

الآية الاولى بمنزلة تحدٍّ لليهود اذ انكروا رسالة النبي (ص) و نبوّته ، فالله تعالى تحداهم بطلب الموت و تمنيه و انهم اذا تمنوا الموت ولم يقع عليهم فهم صادقون محقون في الانكار و نفي النبوة ، و اما اذا لم يتمنوا الموت فهم كاذبون في ادعاءاتهم غير محقين في انكارهم للنبوة . والآية الثانية تاتي بعد التحدي لتخبر انهم امتنعوا عن تمني الموت ولم يقوموا باجابة الطلب ورد التحدي ، و هذا الجزم بالاخبار لايتاتى الا باحد وجهين .

اما ان تكون نفوس المخبر عنهم و اراداتهم بيد المتحدي المخبر يصرفها عن تمني الموت ، فله ان يخبر عن يقين و جزم بانهم لن يريدوا الموت ابدا و لن يختاروه و اما ان يكون المخبر عالما بالغيب مطلعا على السرائر يعرف يقينا ان واحدا من اليهود لايجرؤ على تمني الموت عند التحدي . ولايمكن اسناد اى واحد من هذين الامرين الى البشر ، اذ ليس له السلطة الكافية على النفوس ليصرفها الى حيث يشاء ، كما انه

١ـ البقرة ١٠٠

٢ـ سورة الجمعة ٦ـ ٧

ليس له علمٌ بالغيب حتى يتمكن من الجزم بالاخبار. و من هنا يعلم ان هذا الاخبار لم يكن الا من قبل الله تعالى القادر على كل شيء والمطلع على خفايا الضمائر.

و نظيرهاتين الآيتين في الاخبار والجزم قوله تعالى " قل ان كانت لكم الدار الاخرة عندالله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين× و لن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين "[1]

٥ــ قوله تعالى . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم و جعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا خظا مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم الا قليلامنهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين "[2]

المراد بالخائنة الخيانة والمعنى ان اليهود دائما بفكر ايذاءالمسلمين وخيانتهم و نقض عهدهم ، و هذا ظاهر لمن راجع تاريخ الاسلام ، فانهم كانوا من اشد الناس اذية و خيانة لرسول الله (ص) حتى نقضوا عهده في غزوة الاحزاب و كانوا عينا للمشركين حتى نزل في حقهم قوله تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود " .

و كذا بعد وفاته (ص) فانهم شرعوا في نوع آخر من الايذاء و ايجاد الفتنة فدخل بعضهم مثل كعب الاحبار و وهب ابن منبه و ابن جريج ظاهرا في سلك المسلمين فادخلوا في العلوم الاسلامية من العقائد و التفسير و غيرهما ماشاؤا من الخرافات الاسرائيلية .

واما فيالاعصار الاخيرة فقدابتلى المسلمون باليهود ابتلاء عظيما منهاالحرب الصليبي الذي امتد مأتي سنة بين المسلمين والمسيحين ، و قد ذكر المحققون ان اليهود هم الذين اشعلوا نار الفتنة فيها .

و منها فتنة الشيوعية العالمية فان مؤسّسي هذه العقيدة مثل ماركس و لنين و غيرهما من اولاد اليهود ، و كذا مؤسسو أكثر المبادى الهدامة و الفتن الضالة مثل فتنة البعث في العراق فان المحقق عند المطلعين ان مؤسسها و هو البكر ينتهي نسبهالى رجل يهودي .

و منها قضية فلسطين الاخيرة فانها شغل افكار المسلمين قريبا من عشرين سنة ،

١ــ سورة البقرة ٩٤ــ ٩٥

٢ــ سورة المائدة ١٣

واورد عليهم اعظم الخسارات النفسية والمالية و غير ذالک .

والحاصل ان فى الاية الكريمة اخبارا بدوام خيانة اليهود و ايذائهم للمسلمين ابدا .

١٢

التنبؤ حول النصارى خصوصاً

والان بعد ان ذكرنا الكفار بصورة عامة واليهود بصورة خاصة ننتقل بالقارئ الكريم الى التحدث عن النصارى والآيات التى نزلت فيهم ، وهى

١ــ قوله تعالى . " ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون "١

فى المسيحيين من الاختلاف والتشتت والعداوات مالا تجده فى الطوائف الاخرى ، فان بين رجال كل مذهب من المذاهب المسيحيه تناحر شديد ربما تنتهى الى مذابح و مجازر ، و هذا الاختلاف والتناحر لايقتصر على فئة خاصة من فئاتهم بل يشترك فيها رؤساء الدول و رجال الدين و غيرهم .

اما روساء الدول و الملوك و من اليهم فاختلافهم مُنْصَبٌّ على السبق الى حيازه المستعمرات والاموال والسيطرة على اكبر منطقة ممكنة من مناطق الارض ، فهم فى حروب ضارية مستمرة اوسباب ومهاترة لجلب منفعة خاص او الاستمرار فى استعمار قطعة معينة فيها بعض الخيرات . و هذا ظاهر مشاهد لمن ينظر بشيء من الامعان فى احوال الانكليز والامريكان والفرنسيين .

و اما علماء النصارى و رجال الدين منهم فاختلافهم لجلب المصالح الشخصية و المنافع الخاصة من الرئاسة والاموال و غير ذلك مشهور معروف ، فالنزاع المستمر بين

١ــ سورة المائدة ١٤

الطائفتين المسيحيتين (الكاثوليك والبروتستانت) له جذور عميقة في التاريخ المسيحي ربما يرجع الى عهد جد بعيد .

قال سيدنا الاستاذ دام ظله في تفسيره (الميزان) . و هذه العداوة و البغضاء اللتان ذكرهما الله تعالى صارتا من الملكات الراسخه لتلك الامم المسيحية ولم يزل منذ رفع عيسى واختلف حواريوه والدعاة السائحون من تلامذتهم فيما بينهم نشب الاختلاف فيما بينهم ، ولم يزل ينمو و يكثر حتى تبدل الى حروب عالمية كبرى تهدد الارض بالخراب والانسانية بالفناء والانقراض ـ انتهى .

ان في هذه الآية الكريمة ملحمة غيبية اخبر عنها القرآن و تحقق وقوعها في الخارج حتى الآن .

٢ـ قوله تعالى " و اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الىّ و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون "[١]

المراد بالذين اتبعوا عيسى بن مريم عليه السلام هم النصارى كلهم ، فالنصارى قبل الاسلام هم اتباع عيسى حقيقة ، اذ لم يكن دين حق قبل الاسلام الا النصرانية و التابعون لهم هم تابعون لعيسى حقيقة ، و اما بعد الاسلام فاطلق لفظ التبع على النصارى تبعا و ليس حقيقة ، و هذا هو المتعارف في القرآن بان ينسب الفعل او الوصف الى الجمع اذا كانت الاكثرية موصوفة بتلك الصفة ، خصوصا تعبيره بكلمة " اتبعوك " بلفظ الماضي دون الجملة الاسمية او فعل المضارع .

و تدل الاية حسبما ذكرنا على ان اتباع عيسى بن مريم عليه السلام هم فوق الذين كفروا به الى يوم القيامة و ان لم تبق التبعية الحقة مستمرة حتى بعد مجيء الاسلام واطلق عليهم لفظ " التابع " بضرب من التسامح . والمراد بالذين كفروا هم اليهود و غيرهم من سائر فرق الكفار .

وظاهر الاية الكريمة ـ على ما يفهم من هذه الاخبار الغيبية ـ ان المسيحيين يكون لهم الغلبة المستمرة على سائر الكفار من زمن عيسى الى يوم القيامة ، ولايمكن ان يغلبهم الكافرون في وقت من الاوقات .

و هذا اخبار قد تحقق مضمونه قبل الاسلام وبعده .

١ـ سورة آل عمران ٥٥

اما قبل الاسلام فاكبر دول العالم هو ايران والروم ، والذى يظهر من صحائف التاريخ ان الروم كانت اكثر ثقافة و مدنية من ايران ، فتكون هى الدولة الكبرى فى العالم آنذاك ، وهى كانت تدين بالدين المسيحى .

واما بعد بزوغ شمس الاسلام فكان اكبر دولة فى العالم فى فترة طويلة هوالاسلام المتبع الحقيقى لعيسى ولدينه ، ثم فرنسا او المانيا او انكلترا او امريكا التابعون للمسيحية كانت ولازالت تحكم على العالم .

والى هذا اشار فى مجمع البيان بقوله" و لهذا ترى اليهود حيث كانوا اذل من النصارى" . اقول . الاصح ان يقول . ترى جميع الكافرين اذل من النصارى ، ولايخصص ذلك باليهود فقط.

٣ـ قوله تعالى . " لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا و انهم لايستكبرون "[1]

قال سيدنا الاستاذ فى الميزان بعد ان ذكر ان عدد النصارى الذين قبلوا الاسلام كان اكثر من عدد اليهود الذين قبلوا الاسلام فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله . ان هذا الذى جرى من امر النصارى مع النبى والدعوة الاسلامية و حسن اجابتهم و كذا من امر اليهود والمشركين فى التمادى على الاستكبار والعصبية جرى بعينه بعده (ص) على حذوماجرى فى عهده ، فما اكثر من لبى الدعوة الاسلامية من فرق النصارى خلال القرون الماضية و ما اقل ذلك من اليهود والوثنيين ، فاحتفاظ هذه الخصيصة فى هولاء و هولاء يصدق الكتاب العزيز فيما افاده .

١ـ سورة المائده ٨٢

١٣

التنبوء حول الكفار والمنافقين

نتحدث في هذا الفصل عن الآيات القرآنية الواردة في الكفار بقول مطلق ،وهم اهل الكتاب و غيرهم ، والايات هي

١ــ قوله تعالى " ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم "[١] و في موضع آخر صم بكم عمي فهم لايرجعون .

اطلقت هذه العبارة و ماشابهها في القرآن الكريم على الكفار الذين علم الله تعالى انهم لايرضخون الى الايمان حتى آخر يوم من حياتهم ،كما اشار الى ذلك امين الاسلام الشيخ الطبرسي ، و قد ورد في شان نزولها انها نزلت في ابي جهل و ستة من اهل بيته قتلوا يوم بدر ، و قيل نزلت في اخبار اليهود الذين لم يومنوا برسالة النبي و كتموا امره حسدا . فلو صحت الروايتان ــ كما عن ابن عباس و البلخي ــ فالاية الشريفة تشتمل على ملحمة غيبية من جهة الاخبار عن عاقبة امر هولاء و عدم قبولهم للاسلام الى ان يموتوا ، و قدجرى الامر كما جاء للاخبار .

٢ــ قوله تعالى . " ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب و لاالمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم "[٢]

ذكر بعض المفسرين ان المراد من الخير في الآية الكريمة خصوص النبوة اوالقرآن ، و ليس له على هذه الدعوى من دليل خصوصا مع كون الخير نكرة في سياق النفي و

١ــ سورة البقرة ٧

٢ــ سورة البقرة ١٠٥

ظاهرها العموم ، نعم ماذكره داخل فى عموم الاية ، فتدل على ان المشركين واهل الكتاب لايريدون للاسلام والمسلمين خيرا و صلاحا ابدا ، بل يودون سلب كل خير دنيوى و اخروى عنهم ، سواء كان الخير مالا او راحة و فراغا او استقلالاً و عظمة او علما و ثقافة او دينا و تقوىً او مايشبه هذه الاشياء .

و على هذا فتدل الاية الكريمة على ان المسلمين ليس من مصلحتهم فى شىء ان يركنوا و يعتمدوا فى امورهم على اهل الكتاب والمشركين والكفار ، لان الكفار لايخلصون لهم الود و يتربصون بهم الدوائر لكى يؤذوهم و يخونوهم .

و قد جرت احداث و قضايا خرج المسلمون منها بهذه التجربه التى لاتقبل الشك والريب ، فان بعض امراء المسلمين و ملوكهم قد ركن الى الكفار فكان نصيبه الخسران ومآله الفساد ، و كانت نتيجة الركون المرة ان تسلط الكفار على بلاد المسلمين ورقابهم واخذوا ينهبون خيراتهم بكل ما اوتوا من حول وطول .

٣ـ قوله تعالى . " ود كثير من اهل الكتاب لويردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره ان الله على كل شىء قدير "[١]

الفرق بين هذه الاية والسابقة ان الاية السابقة كانت عامة فيما ذكرت من الخير ، اما هذه الاية فهى خاصة بالخير الاخروى ، و هو الايمان ، فيحاول كثير من الكفار رد المؤمنين من ايمانهم الى الكفر و ازالتهم عن معتقداتهم الدينية .

و هذا موضوع ملموس نراه بام اعيننا حينما ندرس الاوضاع السائدة بعض الدرس فقد سيطر الاستعمار الكافر على بلاد المسلمين و ليس لهم هم الا تضعيف الايمان بل ازالته عن قلوب المسلمين المؤمنين و بذر الكفر فى بلادهم وابعادهم عن حقيقة الدين يدأبون على هذا بكل ما اوتوا من قوة و وسائل .

و ما يبدو من ظاهر الاية الكريمة ان طريق النجاة من مكايد الكفار و الصد من تاثيرهم فى النفوس المسلمة هو العفو والصفح وانتظار امرالله تعالى الذى هو الجهاد او قوة المسلمين او ظهور صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه .

و اما قوله تعالى بعد هذه الاية مباشرة " واقيموا الصلاه وآتوا الزكاه " ـ الآيه ، فحاصل مايفهم منها : ان اهل الكتاب والمشركين لوكانوا مسلطين ظاهرا على المسلمين ـ

١ـ سورة البقرة ١٠٩

كما في بدء الاسلام والحال الحاضر ـ وكان لهم القدرة التامة في البلاد الاسلامية و يجدّون كل الجدّ في تضعيف الاسلام و محقه فان وظيفة المسلمين والحالة هذه ان يتمسكوا بدينهم باقوى تمسك ولا يلتفتوا اليهم ، بل يعفوا و يصفحوا و ينتظروا الفرج والقوة و يقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ، فانهم لوفعلوا كذلك لم يؤثر فيهم كيد الكافرين و قويت عزائمهم شيئا فشيئا واشتدت هممهم فتمكنوا في الاخير من احباط كل الاعمال التي يقوم بها المستعمر ولتمكنوا من ارجاع السيادة المسلوبة بمرور الايام .

٤ـ قوله تعالى . " قل للذين كفروا ستغلبون و تحشرون الى جهنم و بئس المهاد "[١]

ذكر امين الاسلام الطبرسي ان الاية الكريمة نزلت في يهود بني قينقاع حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وآله بعد حرب بدر . يامحمد لايغرتك انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، انا و الله لوقاتلناك لعرفت انا نحن الناس ، فنزلت الاية بانهم سيغلبون ، و صار الامر كما ذكرت .

٥ ـ قوله تعالى " ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريبا من دارهم حتى يأتي وعدالله ان الله لايخلف الميعاد "[٢]

قال سيدنا الاستاذ في تفسيره القيم " الميزان " والتامل في كون السورة مكية ثم في الحوادث الواقعة بعد البعثة قبل الهجرة وبعدها يعطي ان المراد بالذين كفروا كفار العرب من اهل مكة و غيرها الذين ردوا اول الدعوة وبالغوا في الجحود ، و المراد بالذين تصيبهم قارعة من كان خارج الحرم منهم تصيبهم قوارع الحروب و شن الغارات ، وبالذين تحل القارعة قريبا من دارهم اهل الحرم منهم من قريش ، تقع حوادث السوء قريبا من دارهم فتصيبهم معرتها و تنالهم وحشتها وهمها وسائر آثارها السيئة ، والمراد بما وعدهم عذاب السيف الذي اخذ في غزوة بدر ـ انتهى .

اقول . فعلى ما افاد تكون الآية الكريمة من الاخبارات الغيبية التي وقع مفادها في الخارج في زمن الرسول صلى الله عليه وآله .

هذه الايات كانت تتحدث عن الكفار والمشركين بصورة عامة ، و اما المنافقون ـ و هم الذين يظهرون الايمان و يبطنون الكفر ـ ففيهم آية واحدة ، و هي قوله تعالى

١ـ سورة آل عمران ١٢

٢ـ سورة الرعد آية ٣١

" صم بكم عمى فهم لايرجعون "[١]

المراد من قوله تعالى " لايرجعون " انهم لايؤمنون ، فان الايمان هو مقتضى الفطرة الاولية للانسان ، فاذا كفرثم آمن رجع الى اصله .

و في الآية دلالة على ان هولاء المنافقين لايؤمنون ، لانها ـ كما ذكروا في شان نزولها ـ نزلت في عبدالله بن ابي وجد ابن قيس و مقلب ابن قشير و اصحابهم ، وهولاء كلهم قدماتوا على الكفر والنفاق ولم يؤمنوا ، فكان كما اخبر القرآن العظيم .

٦ـ قال تعالى " الم غلبت الروم في ادنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم "[٢]

و هذه الاية نزلت في مكة قبل الهجرة بتسع سنوات و ذلك حينما غلبت فارس على الروم ، ففرح المشركون بذلك لان فارس كانت مشركة مثل اهل مكة ، في حين كان الروم اهل كتاب مثل المسلمين فتفأل بذلك المشركون ، و قالوا سنغلب المسلمين كما غلبت فارس على الروم فنزلت الآية مخبرة بان العاقبة لاهل الكتاب و ان الروم ستغلب فارس بعد سنوات لاتبلغ العشر ، و قد اكّد ذلك الاخبار بقوله تعالى " وعد الله لايخلف الله وعده "

و هذا الاخبار كان من اظهر مصاديق الاخبار عن الغيب و ذلك لعدم توفّر ما يدل على ان الروم سيرجعون و يغلبون ، هذا اذا لاحظنا اموراً لها اثرها الفعال في تاكيد الغيبية في الآية و هي عدم سفر النبي الى الروم و فارس و اطلاعه على احوالهم ولاوصله شيء يذكر من قوة الجيشين وعدتهما و مواقعهما .

بل لقد كانت الامور على طبيعتها توحي باندحار الروم اندحارا عظيما بحيث لايصدّق حتى الروم والفرس ان الغلبة في الجولة الثانية ستكون للروم فكيف بمن كان يعيش في المكان النائي عن موقعيهما ؟

١ـ سورة البقرة ١٨

٢ـ سورة الروم ١

١٤

التنبؤ حول الفرق الضالة من المسلمين

لقد ذكرنا في الفصل السابق الفرقة المحقة التي هي الشيعة الامامية، اما في هذا الفصل فسوف نستعرض بعض ما ورد من الآيات القرآنية في الفرق الضالة من المسلمين وهي:

١ـ قوله تعالى " سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباونا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون "[١]

في الآية الكريمة قرائن تسبب صرفها عن حملها على الكفار المشركين وتجعلها ظاهرة في بعض فرق المسلمين، والقرائن المذكورة هي

ا ـ ذكر الشرك بلفظ الفعل الدال على الحدوث دون اسم الفاعل الدال على الاتصاف الفعلي، و ذلك حيث قال تعالى " الذين اشركوا " يعني في قولهم هذا لا مطلقا و لم يقل المشركون.

ب ـ الايتان بالمضارع خصوصا مع سين الاستقبال في قوله تعالى " سيقول "، و هذا دليل على ان القول سيكون في الازمنة المقبلة.

ج ـ التشبيه بالمشركين السابقين في قوله تعالى " كذلك كذب الذين من قبلهم " و هذا يشعر بان هذا الصنف من الشرك يحدث بعد زمن نزول الاية.

د ـ قولهم " لو شاء الله " الذي يدل على انهم يعتقدون بالله تعالى.

١ـ سورة الانعام ١٤٨

فالمعنى ـ والله العالم ـ انه سيوجد في المسلمين جماعة يشركون بالله تعالى و ينسبون شركهم الى مشية الله عز شأنه ، و حيث ان الجبرية من الاشاعرة يشركون بالله في القول بالقدماء الثمانية و ينسبون افعالهم اليه تعالى من جهة قولهم بالجبر فتكون الاية اخبارا بحدوث هذه الفرقة الضالة في الاسلام .

٢ـ قوله تعالى " و ما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين " [١]

في الآية الكريمة اخبار عن احد امرين .

اما ان تخبر عن حال المسلمين و ان اكثرهم انما يدخلون في الاسلام ظاهرا لا حقيقة ، و هذا المعنى مبني على ما هو الصحيح من ان الايمان هو غير الاسلام ، كما في قوله تعالى " قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم " ، و هذا مما فيه اشارة الى تعيين الفرقة الناجية التي هي الشيعة الامامية ، فانهم الاقلون دائما بالنسبة الى اهل السنة لا الاقليات الشاذة و اما الاكثرون والسواد الاعظم فهم دائما من السنة ليسوا بمؤمنين بل هم مسلمون .

و اما ان الآية تخبر عن حال الناس جميعهم ـ مسلمين و غير مسلمين ـ و تدل على ان اكثر الناس لا يقبلون الاسلام بل يستمرون على الكفر والغي . هذه الدلالة ايضا صحيحة و مطابقة للواقع ، لان المسلمين في كل الحالات اقل عددا من غير المسلمين من سائر الفرق والاديان والمذاهب الباطلة .

٣ـ قوله تعالى " و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون "[٢]

هذه الاية صريحة في ارادة الاحتمال الاول من الاحتمالين المذكورين في الاية السابقة ، فانه تعالى اخبر فيها عن مقارنة ايمان اكثرهم بالشرك ، فلا يصح الحمل الاعلى من كان ايمانه ايمانا ظاهريا وليس بواقعي ، و هذا كالمنافقين و الذين ينتحلون مذهبا في الاسلام فيه شيء من اصول الشرك ، كمذهب الاشاعرة آنف الذكر و غيره .

والآية تدل ايضا على ان المؤمنين العارين عن الشرك بين المسلمين في اقلية دائما ، ففيها دلالة على تاييد مذهب الشيعة الامامية .

و لو جعلنا مضمون الآية الكريمة ـ و هو ان المؤمنين المبرئين عن الشرك هم الاقلون عددا ـ بمنزلة الكبرى ، و ضممنا اليه صغرى هي ان الشيعة الامامية هي اقل عددا

١ـ سورة يوسف ١٠٣

٢ـ سورة يوسف ١٠٦

كانت النتيجة ان مذهب الشيعة هو الايمان العارى عن الشرك .

٤ـ قوله تعالى " الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه و يقطعون ما امرالله به ان يوصل و يفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار "[٢]

جاء ذكر صلة الرحم فى مواضع من القرآن الكريم مقارنا بالوفاء بالعهد ، كما ان قطع الرحم ذكر مقارنا لنقض العهد ، والعنوان الكلى لهذين الوصفين لاربط بينهما الا كالربط الموجود بين سائر العناوين . فيستفاد من هذا ان فى هذه المقارنة فى الآيات اشارة الى خصوصية مصداق لهماقد اجتمع فيه صلة الرحم مع الوفاء بالعهد و قطع الرحم مع نقض العهد ، وهذاالمصداق هورحم آل محمد صلى الله عليه وآله ، كما وردت الاخبار المستفيضة بل المتواترة فى هذه الآية و نظائرها ، فان محبتهم و مودتهم هى التى اخذ الله على العباد الميثاق فى آيات كثيرة منها قوله تعالى " قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى "

فالفرقة التى تتمسك بولاية آل محمد عليهم السلام تمتثل بفعل واحد امرين لله تعالى هما الوفاء بالعهد وصلة الرحم ، كما اشير اليهما قبل هذه الآية فى قوله تعالى " الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ماامرالله به ان يوصل " الآية . اما اصحاب المذاهب الاخرى غير المتمسكة بولايتهم عليهم السلام فهى تخالف الامرين معا ، فتكون مصداقا لقوله تعالى " الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه " الآية . و نتيجة البحث . ان الآية الكريمة قد اخبرت عن حال المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله ، و ان كثيرا منهم ينقضون عهدالله فى ولاية آل محمد عليهم السلام و يقطعون رحمه فيهم . و قد وقع فعلا ما اخبر به القرآن الكريم بهذا الصدد .

اخبار النبى (ص) عن فساد نسب المنحرفين عن على (ع)

ولاباس ان نشير هنا الى حقيقة قد ثبتت بالتواتر عن النبى (ص) و هو ان حبّ علىّ علامة كون الولد من ابيه و بغضه علامة انه من الزنا و تكتفى هنا بعدة من الروايات

١ـ روى الصّفورى الشافعى فى كتابه نزهة المجالس عن الزّهر الفاتح ان النبى (ص) امر اصحابه يوم خيبر ان يمتحنوا اولادهم بحب بن ابيطالب رضى فانه لايدعوا الى ضلالة ولايبعد عن هدى فمن احبه فهو منكم و من ابغضه فليس منكم فكان الرجل

٢ـ سورة الرعد ٣٥

بعد ذلک يقف على طريق عليّ رض و يقول يا بُنيّ اتحب هذا فان قال نعم قبلـــه و ان قال لاطلّق امّه و تركه معها انتهى [١]

٢ــ و ذكر اقرب الموارد فى كلمة " بَوَرَ " كنّا نَبُوُر اولاد نا يحب علي بن ابيطالب

٣ــ و مثله فى لسان العرب قال " وقولهم بُرْلي ما عند فلان اى اختبر و امتحن ما فى نفسه و منه الحديث كنّا نَبُوُر اولادنا يحبّ عليّ " [٢]

٤ــ روى ابن عساكر بعدة طرق عن ابى صالح عن انس بن مالک عن محبوب بـــن ابى الزنار قال قالت الانصار ان كنا لنعرف الرجل الى غير ابيه يبغضه على بن ابيطالب .

٥ ــ و عن ثابت عن انس قال كان النبى (ص) اذا اراد ان يشهر عليا فى موطن او مشهد علا على راحلته وامران يتخفضوا دونه و ان رسول الله (ص) شهر عليا يوم حيبر فقال يا ايها الناس من احب ان ينظر الى آدم فى خلقه و انا فى خلقى و الى ابراهيـــم فى خلته والى موسى فى مناجاته و الى يحيى فى زهده والى عيسى فى سَنَّتَه فلينظر الـــى على ابن ابيطالب ، اذا خطر بين الصفين كانما يتقلع من صخر او يتحدّر من دهر .

يا ايها الناس امتحنوا اولادكم بحبه فان عليا لايدعوا الى ضلالة ولايبعد عن هدىً فمن احبه فهو منكم ، و من ابغضه فليس منكم .

قال انس فكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثم يقف علـــى طريق على واذا نظر اليه يوجّهه بوجهه تلقاءه واومأ باصبعه . اى بنى اَتحبّ هذا الرجـــل المقبل ؟ فان قال الغلام نعم قبله ، و ان قال الاحرّف به الارض و قال له الحق بامک ولا تلحق ابيک باهلها (كذا فى النسخ) فلاحاجه لى فيمن لايحب على بن ابيطالب .

اقول جملة ولاتلحق ابيک باهلها يمكن ان يقرء تلحق بضم الياء و جزم القاف حتى يكون لاناهيه يعنى لاتلحق ابيک باهل امک و جماعته و ذلک لان الولد اذا كـــان منه تلحق الاب بجماعة الام سواء طلّق الام او ماتت اولا ، و ان كان الولد من غيـــره يتفصل الاب منهم بمجرد الطلاق او موت الزوجة .

و يمكن ان يكون الصحيح هكذا . الحق بامک ولالحقن امک باهلها فلاحاجة . . . " قوله حرف به الارض يعنى دفع به الى الارض او اَماله .

٦ــ و روى ابن عساكر ايضا قال انبانا حصين عن زيد بن عطاء بن سائب عن ابيه

١ــ نزهة المجالس طبع مصر ج ٢ ص ٢٠٨ سطر ٢١

٢ــ لسان العرب ج ٤ ص ٨٧

عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن ابيه قال كنا نبور اولاد نا يحب علي بن ابي طالب فاذا رأينا احدا لايحبّ علي بن ابيطالب علمنا انه ليس منا و انه لغير رشدة.

٧- و روى الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في ينابيع المودة ص ١٣٣ عن كتاب المناقب لاحمد بن حنبل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رض قال قال رسول الله (ص) لعلي يا علي انت صاحب حوضي و صاحب لوائي حبيب قلبي و وصيي . . . لايحبك الا طاهر الولادة ولايبغضك الا خبيث الولادة. . . الحديث"

٨- و روى السيوطي عن ابن حيان عن الحسن بن علي العدوي حدثنا احمد بن عبدة الضبي عن ابن عُيَينه عن ابن الزبير عن جابر قال امرنا رسول الله (ص) ان تعرض اولادنا على حب علي بن ابيطالب.[1]

ثم ذكر ابن حبان ان الحديث باطل ولم يذكر هو ولا السيوطي سبب بطلانه و لكنه يعرف من مراجعة احوال الرجلين فانهما من اعداء علي (ع) و كذا ائمتهما فرّاو ان الرواية يحكم بخبث ولادتهما و ولادة ائمتهما فلذا انكراها من غير دليل

٩- روى الخوارزمي الحنفي في الفصل التاسع عشر ص ٢٠٦ عن يونس بن سليمان التيمي عن ابيه عن زيد بن تبيع قال سمعت ابابكر يقول رايت رسول الله (ص) خيم خيمة وهو متكيء على قوس عربية و في الخيمة علي و فاطمه والحسن والحسين فقال رسول الله (ص) يا معشر المسلمين انا سلم لمن سالم اهل هذه الخيمة و حرب لمن حاربهم و ولي لمن والاهم وعدو لمن عاداهم لايحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ولايبغضهم الا شقي الجدردئ الولادة قال فقال رجل لزيدانت سمعت ابابكر يقول هذا قال اي و رب الكعبة. كتاب مقام اميرالمومنين في كتب اهل السنة ص ١٠ للشريف العسكري و رواه العسكري ايضا في كتابه علي والشيعة ص ١٢٩ عن كتاب فرائد السمطين ج ٢ ب ٨

وروى السيوطي عن الخطيب بسنده عن علي بن ابيطالب قال رايت النبي (ص) عند الصفا و هو مقبل على شخص في صورة الفيل و هو يلعنه فقلت من هذا الذي تلعنه يا رسول الله (ص) فقال هذا الشيطان فقلت والله يا عدوالله لاقتلنك ولاريحن الامة منك فقال ما هذا جزائي منك قلت وماجزائك مني يا عدوالله قال والله ما ابغضك احدالا

١- اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٥

شاركت اياه في رحم امّه [1] و قد رويت هذه الرواية باختلاف في اللفظ والمعنى و في بعضها اشار الى قوله تعالى و شاركهم في الاموال والاولاد (لسان الميزان ج ١ ص ٣٧١ و ٣٧٢)

و روى في ضمن رواية انه سئله رجل فقال من يبغض عليا بعد هذا فقال يا اخا الانصار لايبغضه من قريش الا شقي ولامن الانصار الا يهودي و لا من العرب الا دعي ولا من سائر الناس الا شقي [2] (مناقب خوارزمي ص ٢٣٢)

اقول الدعي من دعي الى غير ابيه والمراد به من ولد في فراش رجل و لكن من نطفة غيره بسبب الزنا (تاريخ بغداد ج٣ ص ٢٨٩ فضائل الخمسه ج٢ ص ٢٣٠)

١١ــ روى الشيخ الصدوق في كتاب فضائل الشيعة بسنده عن رسول الله (ص) شيئا من فضائل الشيعة و في آخره انه سئل عمربن الخطاب عن رسول الله (ص) فقال من هم قال فاومأ بيده الى علي (ع) فقال هذا و شيعته ما يبغضه من قريش الا سفاحي ولا من الانصار (كذا) الا يهودي ولامن العرب الا دعيّ ولامن سائر الناس الا شقي يا عمر كذب من زعم انه يحبني و يبغض عليا. السفاح مقابل النكاح بمعنى الزنا و السفاحي ولد الزنا.

١٢ــ و روى بسنده عن منصور الصيقل قال كنت عند ابي عبدالله في فسطاطه بمنى فنظر الى الناس فقال يأكلون الحرام و يلبسون الحرام و ينكحون الحرام . .الخير

اقول المراد بالناس في اصطلاح الائمة (ع) العامة كما يظهر من مراجعة الاحاديث .

١٣ــ و روى الشيخ الصدوق على مارواه عنه صاحب الوسائل عن ضريس الكناسي قال قال ابوعبدالله (ع) اتدري من اين دخل على الناس الزنا فقلت لاادري فقال من قبل خمسنا اهل البيت الا لشيعتنا الاطيبين فانه محلل لهم و لميلادهم .

١٤ــ و روى في الوسائل عن الشيخ قدهما عن محمدبن مسلم عن احدهما قال ان اشد مافيه الناس يوم القيامة ان يقوم صاحب الخمس فيقول يارب خمسي و قد طيبنا ذلك لشيعتنا لتطيب ولادتهم ولتزكو اولادهم .

١ــ ٢ اللآلي المصنوعة ج١ ص و ص ٣٧٨ و تاريخ ابن عساكر ترجمة الامام علي (ع) ج ٢ ص ٢٢٦

١٥

التنبؤ حول الفرقة الناجية من المسلمين

افترقت الامة الاسلامية الى فرق كثيرة انتشرت في شرق الارض و غربها ، و من الواضح البين ان كل هذه الفرق ليست على حق ، لان في كثير من معتقداتها الاصولية شيء من التناقض الذى ليس الى جمعها من سبيل ، فاذن من هو المحق و من هو المبطل؟

الفرقة المحقة من المسلمين هم الشيعة الامامية ، و نستدل لذلك بآيات من القرآن الكريم هي من الملاحم التي اخبرت عن اوصاف الشيعة قبل حدوثهم وهي

١ــ قوله تعالى . " و ممن خلقنا امة يهدون بالحق و به يعدلون "[١]

قوله عز شأنه " ممن خلقنا " اى من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو عام اريد به الخاص بقرينة سياق الايات ، فانها كلها مواعظ توجهت الى امة محمد ، والاية السابقة على هذه الاية بالذات وردت في مقام تقسيم امة الرسول الى قسمين ، فقال تعالى " ولله الاسماء الحسنى فذر الذين يلحدون في اسمائه سيجزون بما كانوا يقترفون " . فعلم من الآيتين ان في المسلمين من يلحد في اسمائه و فيهم من لا يلحد فيها ، ففي الآية الاولى ذكر الذين يلحدون و في الآيه الثانية ذكر الذين لا يلحدون بل يصفون الله تعالى بما هو اهله و بما يناسب قدسيته عزوجل و تعليق الحكم على قوله ممن خلقنا يدل على ان وجود هولاء من لوازم الخلق و فائدة الخلقة فلا يختص بزمان دون زمان .

هذا ما نفهمه من نفس الاية الكريمة و سياقها ، و اما ما نفهمه من الادلة

١ــ سورة الاعراف ١٨١

الخارجية ـ و هي الروايات المستفيضة من طرق العامة والخاصة ـ ان الآية وردت في امة محمد خاصة، و من تلك الروايات .

١ ـ في تفسير الميزان عن علي عليه السلام قال . تفترق هذه الامة على ثلاث و سبعين فرقة اثنتان و سبعون منها في النار و واحدة في الجنة، و هم الذين قال الله تعالى في حقهم " و ممن خلقنا امة يهدون بالحق و به يعدلون " انا و شيعتي .

٢ ـ في الدر المنثور في قوله تعالى " و ممن خلقنا " ـ الآية، عن رسول الله (ص) ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى نزل .

٣ ـ و فيه ايضا عن علي قال . افترقت بنو اسرائيل بعد موسى احدى و سبعين فرقة كلها في النار الافرقة، وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين و سبعين فرقة كلها في النار الافرقة، و تفترق هذه الامة على ثلاث و سبعين فرقة كلها في النار الا فرقة، فاما اليهود فان الله يقول " و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون " ، و اما النصارى فان الله يقول " منهم امة مقتصدة " فهذه التي تنجو، و اما نحن فيقول " و ممن خلقنا امة يهدون بالحق و به يعدلون " ، فهذه هي التي تنجو من هذه الامة .

اقول . قد ادعى تواتر الروايات من طرق العامة والخاصة بهذا المضمون، و ان امة محمد صلى الله عليه وآله ستفترق على ثلاث و سبعين فرقة كلها في ضلال الا فرقة واحدة فهي الناجية .

و قد ورد ايضا في روايات كثيرة من الطريقين ان هذه الفرقة المحقة لاتنقرض بل تبقى جماعة منهم في كل عصر مهتدين بالحق، فقد ورد انه " لايزال طائفة من امتي متمسكين بالحق متظاهرين به الى يوم القيامة " و " ان الله تعالى تظهر الحق في كل قرن في صقع من الارض يعمل به علانية " .

و هذه الآية الكريمة بضميمة هذه الروايات وعد من الله تعالى بوجود فرقة محقة بين المسلمين الى يوم القيامة، والحق كذلك لاينقرض الى يوم الدين بوجود هذه الفرقة المحقة، و من هنا استدل علماؤنا على بطلان اكثر المذاهب بانقراض اهل تلك المذاهب و ابادتهم .

و كيف كان فقد وجد مضمون هذه الآية في الخارج، حيث انه لم يزل منذ قبض نبي الاسلام حتى هذا اليوم قوم يؤمنون بواقع الاسلام كل الايمان و لايحيدون عنه قيد شعرة، اولئك هم الشيعة الامامية الذين يتبعون الرسول باتباع اهل بيته و يأخذون بهديهم ويستنيرون باضوائهم، ولم يزل هذا دابهم من يوم الاسلام الاول حتى هذا

اليوم ، بل هناك في كل العصور بلاد شيعية هي مركز و مامن لهم يتجاهرون فيها باوامر الاسلام و يعظمون فيها شعائرالله و يعبدونه علانية كما يريد تعالى .

٢ـ قوله تعالى . " و ربك الغني ذوالرحمة ان يشاء يذهبكم و يستخلف من بعدكم مايشاء كما انشاءكم من ذرية قوم آخرين "[١]

في الاية الكريمة تهديد للمسلمين المتثاقلين عن قبول او امرالله ورسوله والايمان بماجاء به ، والظاهر من التهديد واظهار الاستغناء في قوله " و ربك الغني " ان الله تعالى شاء هذا الاذهاب والاستخلاف . و معلوم انه ليس المراد موت الموجودين حال نزول الاية باشخاصهم و حدوث جماعة اخرى مكانهم ، فان هذا حكم عام سار في جميع الناس المؤمنين منهم والكافرين ، ولاوجه لتهديد جماعة خاصة بذلك . بل المراد اذهابهم باذهاب عقائدهم و اوصافهم ، فاذا خوطب اهل دين او مذهب بمثل هذا الخطاب لايراد به موت اشخاص و حدوث اشخاص مكانهم ، بل يراد انقراض هذا المذهب او الدين وحدوث مذهب او دين آخر . فلوقيل " اذهب الله اليهود " معناه اذهب الله الدين اليهودي و جاء بالدين النصراني ، و كذلك لوقيل " اذهب الله النصارى " معناه اذهب الله الدين النصراني و جاء بدين الاسلام . . . و هكذا .

و مختصر القول . ان الله تعالى يهدد المسلمين المتثاقلين في الايمان و المنافقين بان اصرارهم على النفاق والكفر لايضره تعالى ، لانه قادر ان يخلق بعدهم و يستخلف في مكانهم جماعة مؤمنين ، و قد حدث هذا بالفعل ، فان اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كان اكثرهم منافقين لقرب عهدهم بالكفر و عبادة الاصنام ، والذين اتوا بعد هولاء كانوا اقرب الى الايمان و اتباع الحق . و من هنا نرى ان عليا عليه السلام لم يجد بعد وفاة الرسول اكثر من اربعة من المؤمنين خالصي الايمان و لكنه وجد بعد مقتل عثمان جماعة كثيرة .

و نظير هذه الآية قوله تعالى " الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما و يستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا والله على كل شيء قدير "[٢] بل الآية الثانية اكثر صراحة فيما قلنا من الاية الاولى و سياتي ما يتعلق بهذا الباب في المبحث الاتي عند البحث عن احوال العجم و مستقبلهم ص ٩٥

١ـ سورة الانعام ١٣٢

٢ـ سورة التوبة ٣٩

١٦

التنبؤ حول العجم

الايات الكريمة التى تدل على مستقبل العجم و ما فسر بهم كثيرة نذكر فيما يلى بعضها .

١ـ قوله تعالى " ان يشاء يذهبكم ايها الناس و يأت بآخرين و كان الله على ذلك قديرا "[١]

فى الآية تهديد للمسلمين المعاصرين للنبى صلى الله عليه وآله بان الله ان يشاء يذهبكم ويأت بآخرين ، و سياق الآيات فى مقام الامر بالتقوى والعبادة ، و على هذا يكون المعنى ان لم تتقوا الله يسلب عنكم نعمة نصرة الاسلام والذب عنه و يعطيها لجماعة آخرين يلتزمون بالتقوى و حسن السيرة .

روى فى مجمع البيان و تفسير البيضاوى ان الاية لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده على ظهر سلمان فقال . هم قوم هذا ـ يعنى الفرس .

و يفهم من هذه الرواية ان فى الاية اخبارا عن انتقال هذا المنصب ـ اعنى الدعوة الى الدين والذب عنه ـ من العرب الى الفرس ، فيكونوا هم حماة الدين والذابين عن الاسلام بعد ان كان هذا من نصيب العرب .

و هذه ملحمة غيبية صدقتها الاحداث الواقعة بعد زمن الرسول صلى الله عليه و آله ، فان العلوم الاسلامية انتقلت بعد سنوات من وفاة النبى من العرب الى العجم وتركزت فيهم ، و اصبحوا هم حَمَلَةُ مشعل العلم والمروجين للدين والمشتغلين بالعلوم و

١ـ سورة النساء ١٣٣

الفنون الاسلامية حتى طبّقت العالم مؤلفاتهم و كتبهم في سائر المعارف الدينية.

ففي المذاهب السنية نشاهد قصب السبق للعجم في كل المجالات العلمية. الفقيه الاكبر عندهم هو ابوحنيفة العجمي و مؤلفو الصّحاح الستة واكابر المحدثين و المفسرين و النحاة واللغويين والفلاسفة و المتكلمين وغيرهم من علمائهم كلهم عجم او من الموالي امثال الطبري و البيضاوي والفخر الرازي و سيبويه والفارابي وابن سينا و الجرجاني و الجامي والمروزي والدينَوَري و غيرهم ممن يضيق هذا المختصر عن عدد اسماء كلهم.

و اما المذهب الشيعي فمركزه ايران و علماؤه غالبا من الفرس، فان افضل سفراء الامام المنتظر الحسين بن روح النوبختي من الفرس، والكتب الاربعة مؤلفوها الكليني و الصدوق والطوسي من الفرس، و هكذا سائر الفنون والعلوم فان اكثر مؤلفيها والمتبحرين فيها علماء من فارس و ملوك الشيعة ومروجيها مثل آل بويه والصفوية وغيرهم من العجم.[٢]

و يشبه هذه الآية في موضوعها قوله تعالى " الم تر ان الله خلق السماوات والارض بالحق ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد و ماذلك على الله بعزيز "[١]

٣ـ قوله تعالى " الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما و يستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ٤ فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين "[٢]

هذه الايه نظيرة قوله تعالى " فسوف ياتي الله بقوم يحبهم و يحبونه " الايه، و قد مضى تفسيرها بشيعه علي و اصحابه او بالعجم او باهل اليمن، و ذكرنا ان جميع هذه الوجوه ممكن، لان شيعه علي عليه السلام غالبا من اليمن او من العجم.

٥٢ـ قوله تعالى " و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم "[٣]

قال في مجمع البيان روى ابوهريره ان ناسا من اصحاب رسول الله (ص). قالوا يارسول الله من هولاء الذين ذكرالله في كتابه، و كان سلمان الى جنب رسول الله ؟ فضرب يده على فخذ سلمان فقال . هذا و قومه، والذي نفسي بيده لوكان العلم بثريا لتناوله رجال من فارس.

و روى ابوبصير عن ابي عبدالله عليه السلام قال. ان تتولوا يا معشر العرب

١ـ سورة ابراهيم ١٩

٢ـ سورة التوبة ٣٩

٣ـ سورة محمد ٣٨

يستبدل قوما غيركم ـ يعني الموالي .

و عنه عليه السلام قال . و ايم الله ، والله ابدل بهم خيرا منهم الموالي .

اقول . هذه الاحاديث الشريفة تؤيدماقلناه سابقا عندما تحدثنا عن الآيـــة الاولى من هذا الفصل .

٣ـ قوله تعالى : " وآخرين منهم لما يلحقوا بهم و هو العزيز الحكيم " [١]

هذه الآية الكريمة قريبة المعنى من الآيات السابقة ، و يأتي في تفسيرها ماذكرناه سابقا فلانعيد الكلام .

قال في مجمع البيان بعد جملة من الكلام . و قيل هم الاعاجم و من لايتكلـــم بلغة العرب منهم عن ابن عمروسعيدبن جبير ، و روى ذلك عن ابي جعفرعليه السلام ايضا و روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن هذه الآية و انه من هؤلاء ؟ فوضع يـده على كتف سلمان و قال . لوكان العلم في ثريا لتناولته ايدى رجال من هولاء ـ انتهى وقد مضى في الفصل الرابع ما يناسب هذا المقام .

١ـ سورة الجمعه ٣

١٧

التنبوء حول علائم ظهور المهدي عليه الصلوة والسلام

الايات الراجعة الى ظهور المهدى عجل الله تعالى فرجه على قسمين . منها ما فيه الاخبار عن علائم الظهور و مقدماته ، و منها مافيه الدلالة على نفس الظهوروالقضايا الواقعة حينه او بعده . اما القسم الاول ففيه آيات و هى

١ــ قوله تعالى . " ولوترى اذ فزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب× و قالوآمنا به وانّىٰ لهم التناوش من مكان بعيد "[١]

الظاهر من قوله " من مكان قريب " انهم يوخذون من تحت اقدامهم بالخسف . و " التناوش " اخذ الشيء ببطء على مافى مجمع البيان ، و يريدانهم يطلبون مالا ينالونه فكانه شبه حالهم بمن قرب اليه الخطر و هو يريد ان يلجأ الى مكان و لكن الخطر قريب منه والمفر بعيد عنه ، و هذا يشبه من يهجم عليه اسد لافتراسه فيريد ان يفر الى بيته و لكن البيت بعيد والاسد قريب يكاد يفترسه .

هذا حال الجماعة المذكورة فى الأية الكريمة ، ان العذاب منهم بمكان قريب سيحل بهم ربما لايمهلهم يوما او بعض يوم ، و هم مع ذلك يريدون الالتجاء الى الايمان الذى هم بعيدون عن حقيقته و ليس لهم صلة به ، فان اظهار الايمان بسبب الخوف من العذاب ليس بايمان حقيقة و انما هو ذريعة يتذرعون به لدرء العذاب عن انفسهم ،ولكن لايفيدهم هذا الايمان ولاينجون بسببه من العذاب الاليم .

ذكر فى مجمع البيان ان اباحمزة الثمالى قال . سمعت على بن الحسين والحسن

١ــ سورة السباء ٥١

بن الحسن بن علي يقولان . هو جيش البيداء ، يؤخذون من تحت اقدامهم . قال . وحدثني عمرو بن مرة و حمران بن اعين انهما سمعا مهاجرا المكي يقول . سمعت ام سلمة تقول . قال رسول الله صلى الله عليه وآله . يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله جيشا حتى اذا كانوا في البيداء ـ بيداء المدينه ـ خسف بهم .

و روى عن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب ، قال . فبينما هو كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادى اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين جيشا الى المشرق و آخر الى المدينه حتى ينزل بارض بابل المدينة الملعونة ـ يعني بغداد ـ فيقتلون اكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون اكثر من مائة امراة و يقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ماحولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام ، فيخرج رُاية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لايفلت منهم مخبر و يستنقذون ما بايديهم من السبى و الغنائم ، و يحل الجيش الثاني بالمدينة فيهبونها ثلاثة ايام بلياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة ، حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول يا جبرئيل اذهب و ابدهم ، فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم الارض عندها ، ولايفلت منهم الارجلان من جهينة ، ولذلك جاء القول " وعند جهينة الخبر اليقين " ، فذلك قوله تعالى " ولوترى اذ فزعوا " الاية . او رده الثعلبى في تفسيره ، و روى اصحابنا عن ابى جعفر الباقر و ابى عبدالله عليهما السلام مثله ـ انتهى .

اقول . هذه الاحاديث الشريفة تكفينا مؤنة التطويل في الكلام حول الآية الكريمة .

٢ـ قوله تعالى " و ماينظر هولاء الا صيحة واحدة مالها من فواق و قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب " [١]

الظاهر ان قولهم عجل لنا الخ استهزاء منهم بما كان النبى (ص) يوعدهم به كما صرح به في المجمع ، و يؤيده ماقبل الاية و هو قوله " ان كلّ الا كذب الرسل فحق عقاب " فان صدر الاية في مقام بيان نزول العذاب الدنيوى على الامم الماضية ، والمناسب له ان تكون نفس الاية ايضا كذلك ، كما ان استهزائهم بقولهم " عجل لنا . . . " انما يناسب كون ماوعدوا به هو العذاب الدنيوى ، والا فلامعنى للاستعجال في الدنيا لاجل عذاب

١ـ ص ١٥

الاخرة.

و على هذا فتكون اشارة الى صيحة يكون ورائها العذاب بلامهلة و يظهر من قوله اصبر بعد هذه الايات ان هذه الصيحة من علائم الظهور فى آخر الزمان كما ورد فى الاخبار الكثيره. ان الصيحة من علائم الظهور، و قد ذكر الشيخ المفيد قدس سره من جملة علائم ظهور المهدى (ع) ما هذا لفظه" ونداء من السماء حتى يسمعه اهل الارض كلهم اهل كل لغة بلغتهم " [١]

وفى كتاب الروضه من الكافى " خمس علامات قبل قيام القائم الصيحة والسفيانى والخسف و قتل النفس الزكية واليمانى فقلت جعلت فداك ان خرج احد من اهل بيتك قبل هذه العلامات انخرج معه قال لاالخبر " [٢]

و عن ابيعبدالله (ع) قال لاتمضى الايام والليالى حتى ينادى مناد من السماء يا اهل الحق اعتزلوا ، يا اهل الباطل اعتزلوا فيعزل هولاء من هولاء ويعزل هولاء من هولاء قال قلت . اصلحك الله يخالط هولاء و هولاء بعد ذلك النداء ؟ قال : كلا انه يقول فى الكتاب : " ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " [٣]

٣ـ قوله تعالى : " ولوفتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون [٤]

كلمة لو وان قيل انها تستعمل غالبا فى الممتنعات ولكن نظائر هذه القضية من الامور الفرضية الواردة فى القرآن تدل على وقوع هذا الفرض كما يرشد اليه الاتيان بكلمة فتحنا بلفظ الماضى ، ولو صح ماذكرنا والله العالم فانه يدل على ان الآية الكريمة تشتمل على اخبار غيبى و هو. ان البشر يصل فى تطوره العلمى الى مرتبة راقية يستطيع معها ان يخترع الكثير من الوسائل التى تمكنه من اختراق الفضاء والسباحة فيه.

و هذا الاخبار قد وقع مضمونه فى زماننا هذا بسبب اختراع وسائل جديدة من امثال ابوللو و ساليوت والا قمار المصنوعة بل يحتمل شمولها للطيارات والصواريخ ايضا .

١ـ الارشاد للمفيد ٣٣٧

٢ـ روضة الكافى ٣١٠

٣ـ آل عمران ١٧٩

٤ـ الحجر ١٤

اذ لاشک انه یصدق علی ارباب هذه الوسائل انه فتحت علیهم باب من السماء و انهم ظلّوا فیه یعرجون .

و ظاهر ایتان کلمة " باب " بالمفرد المنکّر الدال علی الوحدة انه یفتح لهم باب من ابواب السماء و یبقی سایر الابواب مسدودة علیهم لایتمکنون من فتحها و العروج فی السماء .

و قد صدق فی حق هولاء الدول الراقیة مضمون قوله تعالی " لقالوا انما سکرت ابصارنا الآیة " و ذالک لان الحکومة الروسیة لما رأت میل شباب الدول الشیوعیة الی الایمان بالله تعالی امرت العالم الفضائی الکبیر " گاگارین " ان یطوف فی البلاد الشیوعیة و یخبرهم بانه . مارأی فی الفضاء والعوالم الذی سار فیها ربًا ولا الهًا ولاخالقًا کل ذلک اغواءً و امعانًا فی الالحاد .

٤ـ قوله تعالی " والخیل والبغال والحمیر لترکبوها وزینةً و یخلق مالاتعلمون "[١]

ظاهر جملة " ویخلق مالاتعلمون " انه یخلق فی المستقبل نوعا آخر من المرکوبات التی یستفاد منه فایدة الخیل والبغال والحمیر ، ولکن لایظهر من الآیة خصوصیة هذا المرکوب الذی یخلقه تعالی هل هو حیوان او غیر حیوان کما انه لم یظهر من الآیة کیفیة خلقه تعالی له هل یخلقه بواسطة او بلاواسطة .

ولذا یحتمل ان یکون المراد بها المراکب الجدیدة من الطائرة والسیارة والقطار وغیرها . ولاینافی ذلک کونها مصنوعة للبشر ، فان خلق المسبب عقیب السبب بید الله تعالی والبشر انما یتوصل بالسبب والخلق والایجاد دائما من فعل الله تعالی (الالهالخلق والامر) .

٥ـ قوله تعالی . ان الذین یحبون ان تشیع الفاحشة فی الذین آمنوا لهم عذاب الیم فی الدنیا والاخرة والله یعلم وانتم لاتعلمون "[٢]

عموم الایة یقتضی ان یکون کل من احبّ شیوع الفاحشة فی المجتمع الاسلامی بین المؤمنین مبتلی بعذاب الیم فی الدنیا والآخرة . و یصدّقه مراجعة التاریخ قدیما و حدیثا . فانا نری ان کل من اشاع الفواحش والمنکرات فی البلاد الاسلامیة ابتلاهم الله تعالی بعذاب الیم فی الدنیا .

١ـ النحل ٨

٢ـ النور ١٩

و ان اردت اليقين فتذكر ماحلّ بآتاترک و من فعل مثل فعله فی ایران والعراق مثل الاسرة البهلویة و غیرهم تری عاقبة امرهم عذابا الیما کما اخبر به القرآن الکریم .

٦ـ قوله تعالی الیوم ننجیک ببدنک لتکون لمن خلفک آیة و ان کثیرا من الناس عن آیاتنا لغافلون "[١]

الخطاب متوجه الی فرعون و قد اخرج الله تعالی بدنه من الماء و لم یغرق حتی یکون آیة لمن خلفه ، والمراد بهم قیل انهم من بقی من قومه بمصر ، او من شک فی موته من بنی اسرائیل و قال انه اعظم من ان یغرق .

والصحیح ان یقال . الآیة عامة لکل من یحتمله لفظها فیدخل فیها من ذکر وکل من یسکن بمصر من الامراء والرؤساء و غیرهم سواء کانوا موجودین حال غرق فرعون اولا فیکون بدنه آیة لکل من یتولی امر مصر الی یوم القیامه .

و یرشدالی هذا قوله تعالی " و ان کثیرا من الناس الآیة " اذلامعنی لهذا الکلام لوکان بدنه آیة لطائفة قلیلة موجودة فی مصر حینذاک ، و یؤیّدما ذکر من ان جسده موجود الآن من دون تغییر ، و علیه فالآیة الکریمة تشتمل علی اخبار غیبی و هی الاخبار عن بقاء جسد فرعون الی زماننا هذا والله العالم .

٧ـ وقوله تعالی . و من اظلم ممّن منع مساجد الله ان یذکر فیها اسمه و سعی فی خرابها اولئک ماکان لهم ان یدخلوها الا خائفین لهم فی الدنیا خزی ولهم فی الاخرة عذاب عظیم [٢]

مفاد الآیة الکریمة قضیته کلیة ، و ان کان موردها اهل الکتاب .

اولا لما ورد فی شأن نزولها عن ابن عباس و مجاهد ان الرّوم غزوا بیت المقدس وفتحوها وسعوا فی خرابها فنزلت الآیة فیهم .

و ثانیا ان ما قبل الآیة و مابعدها کلها فی شأن الیهود ، مضافا الی ان قوله تعالی " لهم فی الدنیا خزی الخ من لوازم الیهود و اوصافهم المکررة فی القرآن "

و کیفکان فمن جملة مصادیق الآیة فی زماننا هذا الیهود لما نشاهد منهم من تسلطهم علی بیت المقدس و منعهم للمسلمین من دخوله و من العبادة فیه .

٨ـ قوله تعالی " و ان من اهل الکتاب الا لیؤمنن به قبل موته و یوم القیامة

١ـ یونس آیة ٩٢

٢ـ البقرة ١١٤

تكون عليهم شهيدا"[1]

اختلفوا في ضمير" به" انه هل يرجع الى عيسى بن مريم عليه السلام او الى نبينا صلى الله عليه وآله، والمشهور اختاروا الاول لان النبي لم يذكر في سياق الآيات فلم يرجع اليه الضمير، و مع رجوع الضمير الى النبي كان من المناسب ان يقول "ليؤمنن بك" لا" به".

واختلفوا في ضمير" موته" ايضا فقيل انه يرجع الى الكتابي، فيكون المعنى. ان كل فرد من اهل الكتاب يؤمن بعيسى قبل موته. و هذا الاحتمال ليس بسديد، لان هذا لايختص بعيسى عليه السلام بل يؤمن حينئذ بكل حق انكروه في حياتهم، كما انه لايختص هذا باهل الكتاب بل كل كافر بعد تحقق الموت و زوال التكليف يؤمن بالعقايد الحقة ولكن لايفيده الايمان حينئذ.

و قيل ان ضمير " موته" يرجع الى المسيح، والمعنى على هذا. انه يأتي زمان على اهل الكتاب لايبقى على وجه الارض منهم احد الا ويؤمن بالمسيح قبل موته. وهذا القول بمكان من الصحة خصوصا لوعلمنا ان ليس هناك قول آخر تنطبق عليه الآية، فيكون مصداقها ظهور المهدى عليه السلام، اذينزل المسيح حينذاك من السماء.

و روى في البحار عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن ابيحمزة عن شهربن حوشب قال. قال لي الحجاج. يا شهر! آية في كتاب الله قد اعيتني فقلت. ايها الامير اية آية هي؟ فقال. قوله" و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته" والله لاني لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يحرك شفيته حتى يحمل فقلت. اصلح الله الامير ليس على ما تأولت قال. كيف هو؟ قلت. ان عيسى ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا فلا يبقى اهل ملة يهودي ولاغيره الا آمن به قبل موته و يصلى خلف المهدى. قال. ويحك انى لك هذا؟ و من اين جئت به؟ فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابيطالب (ع) فقال. جئت به من عين صافية.

قال ابن كثير" الثاني ان عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما تقدم و كما سياتي و قد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى" و قولهم انا قتلنا

١ـ النساء ١٥٩

المسيح . . . الى قوله و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا "[١]

و قد قررنا فى التفسير ان الضمير فى قوله قبل موته عائد الى عيسى اى سينزل الى الارض و يؤمن به اهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافا متبائنا فمن مدعى الالهية كالنصارى و من قائل فيه قولا عظيما و هو انه ولد ريبة و هم اليهود فاذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء و سنقرر هذا .

و على هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى بن مريم اشارة الى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال و هو ضد مسيح الهدى و من عادة العرب انها تكتفى بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر كما هو مقرر فى موضعه "[٢]

اقول . المدلول الاصلى و هو نزول المسيح قد بينا انه ظاهر الآية و اما استفادة خروج الدجال من الآية فمن العجائب و خارج عن اقسام الدلالات التى تعرفها و يعرفها العرف واللغة فتامل .

٩ – قوله تعالى " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام و الملائكة و قضى الامر و الى الله ترجع الامور "[٣]

والمراد باتيانه تعالى – على مذهبنا – ظهور آياته تعالى فى الغمام خلافا للمجسمة و ذلك لان الله لايتصور فى حقه الاتيان لانه موجود فى كل مكان و مع كل شئ فلايحتاج الى الاتيان ولو اتى فلايحتاج الى الغمام تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

و يمكن ان يراد به ايتان عذابه تعالى فى ظلل من الغمام ، و هذا انسب بكون الآية فى مقام التهديد ، و كيفكان فظاهر كلام المفسرين اختصاص مضمون الآية بيوم القيامة واهوالها ، ولكن لادليل عليه بل ظاهر الآية ان هذا الامر شئ يجب ان يتوقعوه و ينتظروه فى هذا العالم غاية الامر ان وقوعها فى آخر الزمان او فى عالم الرجعة مما يرتفع فيه التكليف و فى الآية نوع ابهام لايرتفع الا بعد وقوع مضمونها .

و لقد اجاد سيدنا الاستاد فى تفسيره " الميزان " حيث جعل الآية ناظرة الى

١– الانعام آ ١٥٨

٢– نهاية البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٠

٣– البقرة ٢١٠

ظهور المهدى عليه السلام و زمان الرجعة ويوم القيامة، لاشتراك الجميع فى ظهور الحقايق و زوال الاباطيل ، غاية الامر ان مراتب الظهور مختلفة، ففى زمن ظهوره (ع) يظهر الاسلام على غيره من الاديان و مذهب اهل البيت على غيره من المذاهب الباطلة و فى عالم الرجعة يظهر ايمان المؤمن و نفاق المنافق من الاحياء والاموات و تكون الغلبة للمؤمن على المنافق ، ويوم القيامة يظهر كل امر خفىّ من الحقايق المستورة ، ويزول كل سراب و باطل يوم تبلى السرائر فمالكم من قوة ولاناصر فهذه الايام من سنخ واحد من هذه الجهة غاية الامر مراتبها مختلفة.

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او ياتى بعض آيات ربك يوم ياتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون [1]

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا ابن ابى ليلى عن عطية العوفى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى (ص) يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها .

و روى عن عبدالله ابن عمرو ابن العاصى قال قال رسول الله (ص) . اذا طلعت الشمس من مغربها خرابليس ساجدا ينادى و يجهر مرنى ان اسجد لمن شئت قال فيجتمع اليه زبانيته يقولون له يا سيدهم ماهذا التفزغ فيقول انما سألت ربى ان ينظرنى الى الوقت المعلوم قال ثم تخرج دابة الارض من صدع فى الصفا فاول خطوة تضعها بانطاكية فيأتى ابليس فتلطمه .

قال ابن كثير و هذا غريب جدا و فيه نكارة ولابد انه من الزاملتين اللتين اصابهما عبدالله بن عمرويوم اليرموك من كتب اهل الكتاب فكان يحدث منهما باشياء غريبة"

و قال الشيخ ابوعبية معلقا على هذه العبارة و لعل عبدالله بن عمر قد اصاب يوم اليرموك جرّتين فيهما بعض كتب اهل الكتاب و بعض افائك الاسرائيليين واذا هو قد اصاب شيئا فما تخاله حدث بشيء منه برائة لدينه و عقله و لما عرف عنه رضى الله عنه من ورع و تقوى و ذكاء و فطنة"[2]

اقول نعم ماقال ابن كثير و بئس ما علق عليه ابو عبية و ذلك لان اصابة عبدالله

١ــ سورة انعام ١٥٨

٢ــ نهاية البداية والنهاية ج ١ ص ٢٠٠

الزاملتين من كتب اهل الكتاب و حديثه عنهما من الامور التى لاريب فيها و مما كان يفتخر به عبدالله و هو الذى اخبر بانه يحدث عن الزاملتين ولعل الشيخ ابو عبيه لم يراجع الى ترجمة عبدالله فى كتب التراجم و لم ير آرائه فى التفسير ولذا وافع عنه بما دل على عدم اطلاعه عليه .

١٠ – قوله تعالى . ان الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا باموالهم و انفسهم فى سبيل الله والذين آووا و نصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ان لاتفعلوه تكن فتنه فى الارض و فساد كبير " انفال ٧٢

حاصل مفاد الآيتين الامر بتولى اولياء الله و محبة بعضهم لبعض والتبرى عن اعدائه ثم يعقب ذلك بالنهى عن مخالفة هذين الامرين و انهم ان لم يتولوا اوليائه و لم يتبرؤا من اعدائه تكن فتنة فى الارض و فساد كبير .

قال سيدنا الاستاد فى تفسير الميزان " و قد صدّق جريان الحوادث فى هذه الآونة الاخيرة ما اشارت اليه هذه الآية الكريمة " و غرضه دام ظله ان اجتناب اغنياء المؤمنين عن مخالطة فقرائهم فى امور الزواج و غيره من شئون الحياة و اختلاطهم بغير المؤمنين صار سببا لحقد الفقراء على الاغنياء و ظهور الاحزاب الحاقدة المفسدة لكل شئ و ايضا هذا الامر يصير سببا لكثرة العزّاب من الرجال و النساء لاعتبارهم فى الكفاءة اشياء كثيرة لم يعتبرها الاسلام فشاع الفساد والميوعة و صار كما قال تعالى " ان لا تفعلوه تكن فتنه فى الارض و فساد كبير "

١١ – قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين .

روى المجلسى بسنده عن محمد ابن مسلم قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول ان لقيام القائم علامات تكون من الله عزوجل للمؤمنين قلت و ما هى جعلنى الله فداك؟ قال . قول الله عزوجل " ولنبلونكم – يعنى المؤمنين قبل خروج القائم (ع) – بشئ من الخوف والجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين "[1] قال نبلوهم بشئ من الخوف من ملوك بنى فلان فى آخر سلطانهم والجوع بغلا اسعارهم " و نقص من

---

١ – البقرة ١٥٥

الاموال" قال كساد التجارات و قلة الفضل و نقص من الانفس قال موت ذريع و نقص من الثمرات قلة ريع ما يزرع و بشر الصابرين عند ذلك بتعجيل الفرج.

ثم قال يا محمد هذا تاويله ان الله عزوجل يقول" و ما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم"[١]

عن على بن ابراهيم بسنده عن ابيعبدالله (ع) فى قوله تعالى مدهامتان[٢] قال يتصل مابين مكة و المدينه نخلا[٣]

آيات وردت فى ظهور المهدى عج الله تعالى فرجه الشريف

و اما القسم الثانى من الآيات الواردة فى ظهور المهدى عليه السلام فهى الآيات الدالة على نفس ظهوره والقضايا الواقعة حين الظهور او بعده، و هى:

١ـ قوله تعالى" يريدون ليطفؤا نورالله بافواههم والله متم نوره و لو كره الكافرون× هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون"[٤]

فى الآيتين الكريمتين بمجموعهما وعد حتمى عن غلبة الاسلام على جميع الاديان و تمام سيادته على العالم كما هو قائم فى احكامه ذاتا، ففيها اخباران عن المستقبل.

الاول ـ عدم تمكن اعداء الاسلام عن محوه و ازالته مهما بذلوا من الجهد و الجهود، و هذا اخبار قد صدقه التاريخ والاحداث، فان القوى اتفقت قديما و حديثا على محو الاسلام عن الارض وصرفت الهمة التى لاتعرف الكلل والملل فى سبيل هذا الهدف الا ان المساعى كلها لم تتكلل بالنجاح بل كان نصيبها الفشل الذريع والخيبة.

الثانى ـ غلبة الاسلام على جميع الاديان والملل والنحل الموجودة فى العالم و ظهوره عليها كلها بحيث لايبقى لها اثر او ذكر. وهنا ياتى دور السؤال عن كيفية هذه الغلبة والظهور؟

فان كان المراد من الغلبة انّ الاسلام سوق يكون له السلطان والسيطرة على اكثر

١ـ البحار ج ٥٢ ص ٢٠٣

٢ـ الرحمن ٦٤

٣ـ بحار ج ٥١ ص ٤٩

٤ـ توبه ٣٣

اجزاء الارض ويشكل اكبر دولة سياسية فى العالم فى حقبة من السّنين ، فهذا شيء قد تحقق فى الزمن السابق والعصور الاسلامية الذهبية ، اذ كانت الحكومة الاسلامية اعظم حكومة عرفها التاريخ فى زمن خلفاء بنى امية و بنى العباس ، خصوصا زمن الرشيد الذى كان يخاطب الشمس و يقول : اينما تشرقين فهو فى ملكى .

اما لوكان المراد غلبة الدين الاسلامى و انتشار احكامه اصولا و فروعا فى اقطار الارض بان تملاء قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا ، فان هذه الغلبة لم تتحقق بعدولم ينتشر الاسلام الصحيح بهذا المعنى ، و يجب ان يحمل هذا الاخبار على زمن ظهور الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ، الذى تضمحل حينذاك الاديان والمذاهب وترتفع فيه السيادات و انواع الغلبة و يكون للاسلام وحده الغلبة التامة على جميع مراحل حياة الانسان فى شرق الارض و غربها .

والوجه الثانى فى تفسير الآية اولى من الوجه الاول ، لما روى عن ابى جعفر الباقر عليه السلام و اختاره بعض المفسرين من العامة ايضا ، بالاضافة الى ان الغلبة الموجودة فى زمن الخلفاء لم تكن غلبة الاسلام الحقيقى ، فان الخلفاء كانوا يحكمون باسم الاسلام ولا يطبقونه تطبيقا حقيقيا على انفسهم والشعوب المحكومة ، بل كانوا يتشبثون به تشبثا ظاهريا لكى يصلوا الى مآربهم من السيطرة والسلطان ، و هذا ليس من الاسلام فى شيء والحال فى الحكومات الحاضرة المدعوة بالحكومات الاسلامية لاتختلف عن حال الخلافة الاسلامية فى زمن بنى امية و بنى العباس و امثالهم ، فانّ هولاء ايضا لايعرفون من الاسلام الا اسمه وليست بدول اسلامية حقيقية . فاذن لايمكن حمل الآية الكريمة الا على دولة الامام المنتظر التى يطبق فيها الاسلام تطبيقا كاملا و تملاء الارض قسطا و عدلا كما جاء فى كثير من الاحاديث الشريفة .

٢ــ قوله تعالى " و يقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين "[١]

قال سيدنا الاستاذ دام ظله فى تفسيره الكبير (الميزان) . و فيها دلالة واضحة على ان النبى صلى الله عليه وآله كان ينتظر آية فاصلة بين الحق و الباطل غير القرآن فاصلة بينه و بين امته ــ الخ .

اقول . الآية الكريمة انما اخبرت عن موضوع غيبى متوقع كان ينتظره النبى صلى

١ــ سورة يونس ٢٠

الله عليه وآله ، ولكن حيث ان قولهم " لولا انزل عليه آية " كان فيه سئوالا عن آية فاصلة بين الحق والباطل فللزوم مطابقة الجواب للسئوال نعرف ان المراد بالغيب ما ذكره دام ظله ـ اعنى الاية الفاصلة بين الحق والباطل .

ثم ان الآية الفاصلة يمكن تصورها بصورتين هما

١ـ تبين الحق بيانا و توضيحه لمن اراد اتباع الحق من دون تكفل لغلبته على الباطل غلبة ظاهرية ، كما يفعل القاضى الذى يبين ان الحق مع اى من الخصمين بدون الالتزام لاخذه من الظالم الغاصب ورده الى المظلوم صاحب الحق . و مثل هذه الاية والحجة كانت كثيرة عند النبى صلى الله عليه وآله ، و منها المعجزات التى ظهرت منه والقرآن الذى انزل عليه ، فان هذه كلها آيات كانت تثبت ان الحق مع النبى و خصمه هو الباطل .

٢ـ الآية الفاصلة التى تفصل فصلا قاطعا بين الحق والباطل ، و لا تقوم للباطل قائمة و تكون الغلبة التامة لدولة الحق ، بحيث توجب اعزاز المؤمنين و غلبتهم ظاهرا و واقعا ، و يذل بسببها الكافرون والمنافقون ذلاً لايكون بعده عز ابدا . و هذا لايكون الا عند ظهور المهدى المنتظر عليه السلام الذى لدولته تكون الغلبة التامه ولاعدائه الهزيمة والمغلوبية ، فتكون هذه الدولة هى المعنية فى قوله تعالى " انما الغيب لله " ـ الاية .

٣ـ قوله تعالى . " وقل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا "[١]

يريد عزوجل من لفظ " جاء " الظهور والغلبة بقرينة مقابلته بلفظ " زهق " ، ففى الاية الكريمة اخبار جازم عن غلبة الحق واضمحلال الباطل .

و نسبة المجيىء الى طبيعة الحق والزهوق الى طبيعة الباطل تقتضى بلوغ الاول الى نهاية الغلبة والثانى الى نهاية الزوال والاضمحلال . اما الثانى فواضح ، لان نفى الطبيعة من دون قيد و شرط يقتضى انتفاء جميع افراده والالم يصح نفيه ، و هذا كقولنا " لا رجل غير مقيد بزمان او مكان ، فانه يقتضى نفيه بجميع افراده . و اما الاول فلان غلبة الحق فى قطر خاص من اقطار الارض و فى زمن محدود من الازمنة ليس امرا ذا خطر و اهمية يتصدى القرآن الكريم للاخبار عنه ، بل الموضوع المهم ذو الشان الكبير ان يغلب الحق على الباطل غلبة تامة فى جميع البلدان والازمان و يزول الباطل زوالا كليا لم تبق له دولة فى مكان من الامكنة حتى الابد . و هذه الدولة بعينها هى الدولة التى

١ـ سورة الاسراء ٨١

تنتظرها الشيعة الامامية عند ظهور الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

٤ـ قوله تعالى. " و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون "[١]

اختلف المفسرون في المراد بارث الارض. فقال بعضهم وراثة الارض في الآخرة، و قال آخرون وراثتها في الدنيا، و قال سيدنا الاستاذ في الميزان. الآية تعم الوراثتين غير ان الذى يقتضيه السياق ان تكون الاية مشيرة الى الوراثة الدنيوية.

اقول. بالاضافة الى قرينة السياق لامعنى لبشارة المؤمنين بانهم يرثون الارض في الاخرة مع انهم يرثون الفردوس الذى هم فيها خالدون. و من جهة اخرى الارض التى نحن عليها الآن ليست موجودة في الاخرة اذ تبدل الارض غير الارض ـ كما اخبر القرآن الكريم عن ذلك ـ فلابد من القول بان الآية تشير الى زمان يكون الارض ملكا لعباد الله الصالحين في الدنيا عند ظهور القائم المهدى عليه السلام، و هذا ماتؤيده ايضا الاحاديث الواردة في تفسير الآية بما بعد ظهور الحجة المنتظر (ع).

٥ ـ قوله تعالى " وعدالله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا و من كفر بعد ذلك فله عذاب اليم "[٢]

اختلف المفسرون في المراد من " الذين آمنوا " و زمان الوعد المذكور بقوله تعالى " ليستخلفنهم " على اقوال. قيل المراد جميع المسلمين، و قيل ابوبكر، و قيل على، و قيل ظهور الحجه المنتظر. و نحن نميل الى القول الاخير و نرجحه على بقية الاقوال لان في الآيه الكريمة بعض الامور التى هى قرائن على ان المراد هو القول الاخير لاسائر الاقوال، والامور التى تكون قرائن على ماذهبنا اليه هى.

الاول ـ الوعد انما يصح اذا لم يكن الموعود حاصلا حين الوعد و الا يكون لغوا غير مفيد، الا اذا يكون الوعد للمرتبة العليا مع حصول المرتبة السفلى، كالوعد بالفي دينار لمن عنده الف و امارة بلاد لمن هو امير على بلد واحد، و هذا ايضا وعد بما ليس عنده حقيقة. و من هنا يعلم عدم صحة انطباق الاية على ابى بكر لعدم توسع قدرة المسلمين في خلافته اكثر من التوسع الذى كان لهم في زمن النبى صلى الله عليه

١ـ سورة الانبياء ١٠٥

٢ـ سورة النور ٥٥

وآله ، بل يمكن القول بان المسلمين قلت قدرتهم بسبب التفرقة التي اصيبوا بها والارتداد الذى حدث لبعضهم .

و هكذا لاتنطبق الاية على الامام اميرالمومنين عليه السلام ، فان الحروب التى وقعت فى زمنه كانت حروبا داخلية لم يكن من نصيب المسلمين التوسع واكثار القدرة زيادة على ماكان لهم فى عصر الخلفاء . نعم يمكن ان يراد وراثة المؤمنين بولايته فى قبال وراثة المنافقين الذين لم يكن لهم فى عصره شأن يذكر .

الثانى ـ الظاهر ان الجماعة الموعودة فى الآية الكريمة هم غير الحاضرين فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله ، اذ يقول تعالى " وعدالله الذين آمنوا " و "ليستخلفنهم " و " ليمكنن لهم دينهم " و " ليبدلنهم " و غيرها من بقية الضمائر الموجودة فى الآية ، و لوكان يريد تعالى بهذه الآية نفس الموجودين فى زمن النزول لقال " وعدكم الله " و هكذا بقية الضمائر ، ولو كانت الاية غير منطبقة على الموجودين فى زمن الرسول لم تنطبق ايضا على ابى بكر والموجودين فى زمنه ، لانهم هم الذين كانوا فى زمن الرسول الا القليل الذين ليس لهم اعتبار مع بقية الجماعة .

و اما على عليه السلام فلا يبعد انطباق الآية عليه ، لان اصحابه اكثرهم من الشباب الذين لم يدركوا الرسول او اسلموا بعده ، ولايضر وجود جماعة من الصحابة بينهم اذكانوا هم الاقلية ، فيصح عليهم القول بان الله تعالى استخلف قوما مكان اصحاب النبى (ص) .

الثالث ـ حقيقة الاستخلاف هى فناء قوم و قيام قوم مقامهم ، و اما لوكان قوم فى مكان خاص فلا يطلق على بقائهم فى ذلك المكان الاستخلاف ، و لو زادت عظمتهم و اموالهم و سائر اعتباراتهم ، فان تغيير هذه الاعتبارات و زيادتها لاتعتبر استخلافا مالم تتبدل الاقوام ولاتاتى قوم مكان قوم . و هذا المعنى للاستخلاف يعرف من تتبع موارد استعمال اللفظة فى القرآن الكريم كقوله تعالى " ان يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم مايشاء "[1] و قوله " و يستخلف ربى قوما غيركم "[2] و قوله " عسى ربكم ان يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الارض "[3] ، ففى كل هذه الموارد يراد من هذه اللفظه معنى التبديل

١ـ سورة الانعام ١٣٣

٢ـ سورة هود ٥٧

٣ـ اعراف ١٢٩

١١٢ ـــ

وضع قوم بمكان قوم آخرين لاالخلافة والرياسة وامثالهما من المعانى . و ماقلناه قرينة على عدم ارادة المسلمين فى عصر النبى او ابى بكر و اصحابه ، لان ارادة هولاء او هولاء لم يكن من الاستبدال فى شىء . نعم السياسة والخلافة حصلتا لمن لم يكن مستحقالهما ، و هذا خارج عماهو المراد .

الرابع ـ الاستخلاف فى الارض ظاهر فى الغلبة والسيطرة على اكثر مناطق المعمورة او كلها ، ولاتصدق على السيطرة البسيطة على قطر ما من اقطار الارض كماتفقت للمسلمين فى عصر النبى او عصر الخلفاء الراشدين ، و لذا قال امين الاسلام الطبرسى فى مجمع البيان . ان التمكين فى الارض على الاطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لان الله تعالى لايخلف وعده .

الخامس ـ ظاهر الآية استخلاف جماعة من امة محمد (ص) غيرموصوفين بالايمان والعمل الصالح قبل تحقق الوعد للذين آمنوا ، و يستفاد هذا القيد من قوله تعالى " كما استخلف الذين من قبلهم " ولوكان المراد الامم السابقة على مبعث الرسول ـ كما ذكره بعض المفسرين ـ لكان من المناسب ان يقال " من قبلكم " او " من قبل " ، واما اذ قال تعالى " من قبلهم " فاراد الاشعار بان قوله " كما استخلف " ماض بالنسبة الى زمان تحقق الوعد لا بالنسبه الى زمان الخطاب . و كذا قوله " من قبلهم " اشارة الى كونهم قبل تحقق الوعد لاقبل نزول الاية الكريمة .

السادس ـ الظاهر من قوله تعالى " وليمكنن " ان المستخلفين يتمكنون من نشر الدين فى كل الارض بحرية تامة و بقدرة واسعة ، كما انهم يتمكنون من الغلبة على اعداء الدين وتبكيتهم و رفع سيطرتهم ، و نشر احكام الدين نشرا واسعا بلا مزاحم ، و هذا لاينطبق على على عليه السلام ، لانه لم يتمكن من تطبيق احكام الدين كما اراد ولم يغلب على كل اعدائه . و هكذا لم ينطبق على ابى بكر الذى لم يحصل له التمكن التام والقدرة التامة .

السابع ـ وصفه تعالى الدين الذى يمكن الجماعة من اقامته بانه ارتضاه حيث قال عزوجل " دينهم الذى ارتضى لهم " ، و قد ذكر فى موضع آخر من القرآن الكريم هذا الدين ايضا حيث قال " اليوم اكملت لكم دينكم و رضيت لكم الاسلام دينا " و قد دلت الاحاديث الوارده من طرق العامة والخاصة ان الاية نزلت فى غدير خم بعد ما اضيف الى احكام الدين ولاية على بن ابيطالب عليه السلام ، فيستنتج من كل هذا ان الدين الذى يمكن الله منه هو الدين المشتمل على ولاية على عليه السلام . و واضح انه لم يحصل

التمكن التام من اقامة مثل هذا الدين الى يو منا هذا . فلابد من حمل الاية على زمن ظهور الحجة واقامته عليه السلام لاحكام الدين الاسلامى التى بضمنها هذا الولاية .

الثامن ـ ان قوله تعالى " وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا " يدل على ان هذا الاستخلاف لابد و ان يكون ملازما لامن مسبوق بالخوف ، ولم يكن زمن ابى بكر كذلك اذ سبقه عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان ملؤه الامن والامان . و يمكن ان نذعن القول بان زمن على عليه السلام كان يوصف بالامن بعد الخوف للاحداث التى سبقت عصره و زمنه و كانت مثارا للخوف و عدم الطمانينة .

و من كل ما سبق نخرج بهذه النتيجة . ان الآية الكريمة لاتنطبق الاعلى صاحب العصر والزمان عليه السلام ، لما ذكرناه من الادلة والشواهد والقرائن الموجودة فى نفس الاية والمفهومة منها ، و يؤيد هذه النتيجة ما روى من الاحاديث الكثيرة عن الرسول والباقر والصادق عليهم الصلاة والسلام ، و قد ادّعى صاحب مجمع البيان اجماع اهل البيت على هذا ، و كفى بهذا شاهدا و دليلا .

٦ـ قوله تعالى " ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم "[١]

العطف بـ" او " يقتضى مغايرة الساعة ليوم عقيم ، فلا وجه لما ذكره سيدنا الاستاذ فى تفسيره الميزان من حمل " يوم عقيم " على يوم القيامة ، بل هو كبقية الايات التى جاء الوعيد بها و هى تكون من افراد العذاب الدنيوى عند ظهور الحجة المنتظر عليه السلام او عند الرجعة .

٧ـ قوله تعالى " و نريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض و نجعلهم ائمة و نجعلهم الوارثين × و نمكن لهم فى الارض و نرى فرعون وهامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون "[٢] فسرت الآية الكريمة فى كثير من الاحاديث الشريفة بظهور المهدى عجل الله فرجه .

وهذا التفسير دعى بعض الاخباريين الى الذهاب بانه تفسير لظاهر الآية ، غافلين عن الايات التى تسبق هذه الاية و عما هو مذكور فى آخر نفس الآية التى تصرح بمجموعها بانها وردت فى قصة لبنى اسرائيل .

١ـ سورة الحج ٥٦

٢ـ سورة القصص ٥

نعم تأويل الآية و باطنها تشير الى ظهور المهدى عليه السلام ، و لهذا عدل عن الماضى بالفاظ المضارع فى قوله " و نريد ان نمن " و قوله " و نجعلهم " وقوله "ونمكن لهم " ، و القصد من هذا العدول هو ابهام المعنى والتاويل الذى ذكرناه .

على بن ابراهيم عن احمدبن ادريس عن احمدبن محمد عن على بن الحكم عن سيف بن حسان عن هشام بن عمار عن ابيه و كان من اصحاب على عن على صلوات الله عليه فى قوله " ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن مايحبسه، قال الامة المعدودة اصحاب القائم الثلاثماة والبضعة عشر .

روى الشيخ فى كتاب الغيبة باسناده عن الجريرى عن الفضيل بن الزبير قال سمعت زيد بن على يقول المنتظر من ولد الحسين بن على فى ذرية الحسين فى عقب الحسين وهو المظلوم الذى قال الله " و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه ـ وليه رجل من ذريته من عقبه ـ ثم قراء و جعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، سلطانا فلايسرف فى القتل ، قال سلطانه فى حجته على جميع من خلق الله حتى يكون له الحجة على الناس ولا يكون لاحد عليه حجة [1]

١ـ بحار ج٥١ ص ٣٥

١٨

التنبوء حول عالم الرجعة

الايات المفسرة والمأولة بالرجعة كثيرة نلتقط منها الآيات التالية.

١ـ قوله تعالى " واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لايعلمون "[١]

حمل اكثر المفسرين الآية على البعث فى الاخرة وارجعوا ضمير " اقسموا " الى المشركين، ولكن اعترضهم اشكال الحلف بالله والجهد فى الايمان البعيدين عن عقايد المشركين الذين لايعتقدون بالله تعالى وحده ولايجهدون فى الايمان.

كما ان ارجاع الضمير فيه الى الموحّدين ـ كما صنع بعض المفسرين ـ لا يستقيم ايضا، اذ ليس فيهم من ينكر المعاد بهذا التاكيد و يحلف بالله تعالى على انكاره وعدم الاعتقاد به.

والجمع بين الاعتقاد بالله و انكار المعاد معضلة ليس من السهل حلها والتخلص منها، لعدم وجود فرقة يعتد بها من المؤمنين او المشركين تعتقد بهذا الاعتقاد و تجمع بين هاتين العقيدتين المتناقضتين.

والانسب حمل الآية الشريفة على الرجعة التى تعتقدها الشيعة و تقول بها، و هى مما انكرها اكثرية المسلمين وليس ببعيد عقلا حلف المنكرين لها بالله تعالى فيما ذهبوا اليه. و يؤيد هذا الحمل قرائن توجد فى نفس الاية، وهى

اولا ـ اسناد الحلف الى المعتقدين بالله، و هولاء المسلمون يعتقدون بالله

١ـ سورة النحل ٣٨

تعالى فيحلفون به، و ينكرون الرجعة فيحلفون على انكارهم، و بهذا يمكن الجمع بين الاعتقاد بالله انكار الرجعة.

ثانيا ـ انكارهم عدم وقوع البعث لاستحالة وقوعه، و لهذا يأتي الاية بلفظ " لايبعث الله". و هذا بخلاف المنكرين للمعاد الذين ينكرون امكان وقوعه بتأكما يبدو من قوله تعالى في سورة يس" و ضرب لنا مثلا" الاية. اضف الى هذا الجواب الذى يجاب به المنكرون والذى يرجع الى اثبات وقوع البعث وعدم المانع منه، اذ يقول تعالى " بلى وعدا عليه حقا" ، ولا نرى مثل هذا الاسلوب في آيات المعاد التي تتعرض لاثبات امكان وقوعه، كقوله تعالى " بل يحييها الذى انشاها اول مرة" الايه.

ثالثا ـ ليس هذا القول لكفار زمن الرسول صلى الله عليه وآله، اذ لو كان للمعاصرين للنبى لامر بالاجابة عليه وردهم في قولهم هذا، مع اننا نرى ان الاية بنفسها تصدت للاجابة عليه، و هذا يشعر بان الجماعة المعتقدين لهذا العقيدة هم متاخرون عن زمنه (ص).

فالاية الكريمة مشتملة على اخبارين عن الغيب. اخبار عن عالم الرجعة، و اخبار عن ان جماعة من المسلمين ينكرون الرجعة ولايعتقدون بها. اما الاخبار الثاني فقد وقع مضمونه و وجد في المسلمين جماعة تنكرها و تستدل على انكارها بما لديها من الاستبعاد واما الاخبار الثاني فلم يقع بعد مضمونه ولم يحن حينه.

٢ـ قوله تعالى " و يوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون"[١]

قال في مجمع البيان. استدل بهذه الاية من ذهب الى صحة الرجعة من الامامية، بان قال. دخول من في الكلام يوجب التبعيض، فدل ذلك على ان اليوم المشار اليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم، و ليس ذلك صفة يوم القيامة الذى يقول فيه" وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا". و قد تظافرت الروايات عن ائمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله سيعيد اقواما عند ظهور المهدى ممن تقدم موتهم من اوليائه و شيعته ليفوز و ابثواب نصرته و معونته و ينتهجوا بظهوردولته، ويعيد اقواما من اعدائه لينتقم منهم و ينالوا بعض مايستحقونه من العذاب في القتل على ايدى شيعته. ولايشك عاقل في ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، و قد فعل الله ذلك في الامم الماضية، و نطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير و غيره

١ـ سورة النمل ٨٤

على مافسرناه في موضعه ، وصح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله " سيكون في امتي كل ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، حتى لو انّ احدهم دخل حجر ضب لدخلتموه " .

على ان جماعة من الامامية اوّلوا ماورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات ، لما ظنوا من ان الرجعة تنافي التكليف .

و ليس كذلك ، لانه ليس فيها ما يلجيء الى فعل الواجب و ترك القبيح و التكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرات كفلق البحر و قلب العصا ثعبانا و ما اشبه ذلك ، ولان الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرق التاويل عليها ، وانما المعول في ذلك اجماع الشيعة الامامية و ان كانت الاخبار تعضده و تؤيده ـ انتهى كلام مجمع البيان .

اقول . التبعيض كما يستفاد من لفظة " من " كذلك يستفاد من تنكير كلمة "فوجا" منسوبا الى كل امة ، فان الاستغراق لايجتمع مع التنكير ، فاذا قلنا " جئني من كل قبيلة بفوج " لايكون مثل قولنا " جئني بافواج القبائل " ، فالآية نظير قوله تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفه ـ الايه

و يشير الطبرسي رحمه الله بقوله ـ و قد فعل الله ذلك في الامم الماضية ـ الى ما سبق في قوله تعالى " الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم " الآية ، و قوله تعالى اذ يخاطب بني اسرائيل " ثم بعثناكم من بعد موتكم " الاية ، و قوله تعالى في قصة عزيز " فاماته الله مائة عام ثم بعثه " و غير هذه من الايات الكثيرة التي تتحدث عما وقع للامم الماضية .

و نقول ايضا . ان سياق الاية يدل على عدم ارادة يوم القيامة ، اذ بعد الاية ما يدل على انقطاع التكليف نهائيا ، و ذلك قوله تعالى " و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون " ، ثم قال عزّ من قائل " الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذالك لايات لقوم يؤمنون " الاية ، و يقول بعدها :

" و يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات والارض الا من شاء الله و كل اتوه داخرين " . فذكر يوم القيامة بعد هذه الاية و التصريح فيها بان كل الناس يأتونه داخرين دليل على ان هذا اليوم الذي يبعث فيه فوج من الناس يكون قبل يوم القيامة و هو ليس الا يوم الرجعة .

٣ـ قوله تعالى " قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل

الى خروج من سبيل" [١]

الاماتة سلب الحياة عن موجود ذي حياة، و على هذا لامعنى لاماتة الميت بالاصالة لانه لاحياة له حتى تسلب عنه. ففي الاية الكريمة لايراد من الاماتة كون الانسان ميتا قبل هذا العالم لكونه ترابا او نطفة او غير ذلك، فالاماتتان كلتاهما ليستا الا بعد هذه الحياة التي نحياها.

و حاصل معنى الاية على هذا البيان. ان للانسان احياءات ثلاث من جانب الله تعم احداها الاحياءة التي ليس بعدها موت و هي حياة يوم القيامة، و اثنتين منهما تتعقبها الاماتة، و هما تستفادان من قوله عز من قائل و امتنا اثنتين" ، و ذلك لما مر من ان كل اماتة تحتاج الى حياة قبلها.

ومن هنا يتبين ان للجماعة المشار اليهم في الاية غير حياتهم في الآخرة حياتان احداهما حياته في هذا العالم، والأخرى حياته في عالم الرجعة.

و قد حمل بعض المفسرين الاحياء على احياء الاموات في قبورهم. و هذا و هم لايعتد به، لان ظاهر الاحياء هو دخول الروح في هذا البدن الظاهري، و الروح لاتدخل بدن الميت حسا في القبر، بل اما انها تدخل في بدن مثالي او ان عالم البرزخ عالم روحاني، اذ لم يقم اجماع او ضرورة او اي دليل على ان عالم البرزخ عالم جسماني مثل كون المعاد جسمانيا نظرا بل المحسوس والمشاهد خلافه.

و على فرض قبول القول بدخول الروح في بدن الميت فهو دخولها الى صدره لاجابة اسئلة منكر و نكير و بعد ذلك يبلى بدنه و يفسد. و اطلاق الاحياء على هذا المقدار من دخول الروح في الجسد خلاف متفاهم العرف، فان اطلاق الموت على هذا اولى من اطلاق الحياة عليه فلا سبيل من حمل الاحياء الثاني على عالم الرجعة.

٤- قوله تعالى " واستمع يوم ينادالمناد من مكان قريب× يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج× انا نحن نحيي و نميت و الينا المصير× يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير" [٢]

الايات الكريمة تتحدث عن يوم الحشر و تصفه باوصاف هي: ينادي فيه مناد من مكان قريب، يوم يسمع فيه الصيحه بالحق، و يخرج عندها قوم من قبورهم كما يبدومن

١- سورة المومن ١٢

٢- سورة ق ٤١- ٤٤

ظاهر الاية، يوم يحيى فيه جماعة ثم يموتون فيصيرون الى الله تعالى، والمراد من قوله عز من قائل " والينا المصير " هو يوم القيامة بلا اشكال فيكون المراد بقوله " يوم الخروج " خروجهم لنصرة المهدى او الرجعة كما ان المراد من الاحياء المذكور فى الاية هو غير الاحياء يوم القيامه، لان الاحياء المذكور فى الاية عقب عليه الموت ولا موت بعد يوم القيامة.

و قد ورد فى حق القائم عليه السلام انه يتكلم مع اصحابه و هو فى مكة و هم فى شرق الارض او غربها، فيسمعون صوته و يرون شخصه، فيمكن ان يكون المراد من النداء المذكور فى الاية هذا ما ورد من الروايات ان فى آخر الزمان ينادى مناد من المغرب. الا ان عثمان و شيعته هم المفلحون، وينادى مناد من المشرق الا ان عليًا و شيعته هم المفلحون.

٥ــ قوله تعالى " قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين ءاذا كنا ترابا و عظاما انا لمدينون الى قوله تعالى افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى و ما نحن بمعذبين "[١]

هذه الايات تحكى لنا مكالمات تجرى بين اهل الجنة و اهل النار و قوله " افما نحن بميتين " استفهام توبيخى يعنى اتعتقد انا لانموت الا موتتنا الاولى و الحال انه قد ظهر خلافه، و هذا نظير ما اذا انكر احد قيام زيد فجيء به الى زيد فيراه قائما و يقال له حينئذ اليس زيد بقائم فيذمه بانكاره السابق، و كذا فيما نحن فيه، لما ثبت و ظهر فى القيامة لكلا الفريقين ان هناك موتتين فهناك يذم مدعيهما منكرهما.

والظاهر ان كلتا الموتتين بعد هذه الدنيا و ان احدهما الموت بعد حياة الدنيا و الثانية الموت بعد حياة عالم الرجعة، لا ان احدى الموتتين قبل هذه الدنيا والثانية الارتحال من هذه الدنيا الى عالم القبر و ذلك لوجوه:

١ــ ان المراد بالموتتين لوكان ماتوهمه القائل اعنى الموت السابق على الحياة و الموت بمعنى الانتقال من هذا العالم لم يكن وجه لانكارهما، لان كلا منهما امر مشاهد و محسوس لكل عاقل ولاينكرهما احد.

٢ــ ان كلمة الموت ظاهرة فى خروج الروح عن البدن واطلاقه على من لم تحصل فيه الحياة مجاز و ان استعمل فى بعض الموارد مثل قوله تعالى " كيف تكفرون بالله وكنتم

١ــ الصافات ٥٩

امواتا فاحياكم الاية"[١] والمجاز لايقاس عليه.

٣ـ ظاهر قوله "انى كان لى قرين الخ" ان هذا الداخل فى النار من فرق المسلمين اذالمؤمن ليس قرينا للكافر المطلق. والموتة التى اختلف فيها المسلمون فآمن بها فرقة وانكرها فرقة اخرى هى موت عالم الرجعة وحياتها.

٤ـ ظاهر الاية ذم منكر هذه الموتة و عقابه مع ان الموت السابق على الحياة ليس مما يجب الاعتقاد به و كذا الموت من هذا العالم فيعلم ان المراد به الموت فى عالم الرجعة.

٦ـ قوله تعالى تلك اذاكرة خاسرة فاذاهم بالساهرة[٢]

و روى فى البحار عن الاختصاص عن سعد عن اليقطينى عن القاسم عن جده الحسن بن راشد عن ،محمدبن عبدالله ابن الحسين قال دخلت مع ابى على ابيعبدالله (ع) فجرى بينهما حديث فقال ابى لابيعبدالله (ع) ما تقول فى الكَرَّة؟ قال. اقول فيها ما قال الله عزوجل و ذلك ان تفسيرها صار الى رسول الله قبل ان يُاتى هذا الحرف بخمسة و عشرين ليلة قول الله عزوجل "تلكاذا كرة خاسرة" اذا رجعوا الى الدنيا و لم يقضوا دخولهم فقال لهابى. يقول الله عزوجل "فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة" اى شىء اراد بهذا؟ فقال. اذا انتقم منهم و باتت بقية الارواح ساهرة لاتنام ولاتموت.

قال المجلسى قده بعد ما نقل كلام البيضاوى فى تفسير الاية" اقول على تفسيره قولهم تلك اذا كرة خاسرة كلامهم فى الرجعة على التحقيق لافى الحياة الاولى على الاستهزاء[٣]

٧ـ قوله تعالى. فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم[٤]

الآية الكريمة تتضمن الوعيد بعذاب اليم يتقدمه دخان مبين فى السماء يغشى الناس، وهذا الدخان والعذاب قبل يوم القيامة لقوله تعالى "انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون" و ليس بعد يوم القيامة كشف عذاب ولاعود للكفار.

١ـ بقره ٢٨

٢ـ النازعات ١٢

٣ـ البحار ج ٥٣ ص ٤٥

٤ـ الدخان ١١

كما ان قوله تعالى " يوم نبطش البطشة الكبرى الآية ز ائدابها يوم القيامة فيكون المراد مما قبله اعنى يوم اتيان السماء بدخان مبين غير يوم القيامه فان كون الثانية البطشة الكبرى تقتضى كون الاولى البطشة الصغرى من جهة ان افعل التفضيل يقتضى وجود المفضل عليه ، و قد ورد فى رواياتنا مايؤيد ذلک وهو مارواه الشيخ الجليل ابوعبدالله المفيد قده فى الارشاد عن ابيعبدالله (ع) قال . يزجر الناس قبل قيام القائم بنار تظهر فى السماء فان النار والدخان متلازمان غالبا

١٩

التنبؤ عن اشراط الساعة

في اشراط الساعة و علائم يوم القيامة وهي كثيرة نذكر فيما يلي بعضا منها:

١ــ قوله تعالى حكاية عن ذى القرنين بعد تمام بناء السّدّ " قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكّاء و كان وعد ربى حقا × و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا " [١]

في قوله " هذا " اشارة الى بناء السد ، والكلام منقول عن لسان ذى القرنين ، و المراد من وعد الرب يوم يفتح فيه السّدّ و يبدو فيه الشق ، و " الدك " اشد انواع الدق ، و يراد منه خراب السد و انشقاقه بصوت عال ، و يموج بعضهم في بعض يعني وقوع بعضهم على بعض و اختلاطهم بحيث يقع جماعة على جماعة من الاضطراب والدهشة ، و هذا كما يرى في امواج البحر و وقوع بعضها على بعض واختلاط المياه بعضها ببعض .

والظاهر من الاية ان هذا الوعد يكون قبل يوم القيامة و لذا قدمها على قوله " و نفخ في الصور " ، و في يوم القيامة تندك الجبال كلها لاخصوص السد ، و في يوم القيامة يموت كل الناس بلا استثناء و في الاية اخبار عن ان بعضهم يموج في بعض ثم يندك السد ، و لوكان المراد بقوله " يموج " يوم القيامه لكان متحد المعنى مع قوله " و جمعناهم جمعا " و هو خلاف ظاهر الاية الكريمة . . . و من هذه القرائن يفهم ان المراد بوعد الرب غير يوم القيامة ، و لكن تحدث هذه الواقعة في آخر الزمان .

٢ــ قوله تعالى " واذ وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان

١ــ سورة الكهف ٩٨

الناس كانوا بآياتنا لايوقنون "[١]

المراد بوقوع القول اتمام الحجة واليأس عن القبول واليه يرجع كل ما رواه في المجمع من ان المراد به " اذا اوجب الوعيد والعذاب " او ان المراد به " اذا صاروا بحيث لايفلح احد منهم ولااحد بسببهم " او ان المراد " اذا غضب الله عليهم " او غير ذلك فان هذه كلها من لوازم ماذكرنا او ملزوماته ،واما التعبير بوقوع القول في الاية فلاجل الإشارة الى قوله تعالى " ولكن حق القول مني لأملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين "[٢]

واذا راجعنا موارد اليأس عن الهداية واتمام الحجة في القرآن الكريم نراه يعبر تاره بجملة " حق القول " كما مرّ و كما في قوله تعالى " لقد حق القول على اكثرهم فهم لايومنون "[٣] واخرى بجملة " وقع القول " كما في و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون "[٤] وثالثة بجملة حقت الكلمة وسبقت كقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايومنون وغيره من الايات ، ولكن في الاغلب انما عبر بجملة حق القول في الموارد التي حصل اليأس من جماعة خاصة او امة بخصوصها ، او قوم معين لااليأس عن شخص معين و في موضعين من القرآن اريد تماميةالحجة على جميع اهل الارض و اليأس عن جميعهم عند قيام الساعة فعبر بجملة " وقع القول " و هما هذه الآية و الاية التي بعدها بفاصلة آيتين فعبر فيها ايضاهكذا " و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون " كما مرت الاشارة اليه .

و كيفكان فالمراد بالآيه والله العالم . انه عند قيام الساعة و حصول اليأس من اهتداء من لم يهتدواليأس من ارتداد من آمن اخر جنّالهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون .

و قد ذكر لهذه الدابة وصف يرشد الى ان المراد به فرد من الانسان و هو جملة " تكلمهم " اذلااشكال في ان التكليم مثل التكلم في اختصاصه بذوى العقول فلو قيل رايت اسدا يكلم زيدا او يتكلم مع زيد كان كل من الجملتين سببا للقطع بارادة الانسان من لفظ الاسد .

١ــ النمل ٨٣

٢ــ السجدة ١٣

٣ــ نمل ٨٥

٤ــ يس ٦

و احتمال ان يكون المراد من الدابة حيواناً غير الانسان و يكون تكليمه من باب خرق العادة يحتاج الى دليل ، و هو مفقود في المقام فنحمله على ان الله تعالى يخرج فردا من الانسان من الارض يكلم الناس.

و المراد باخراج انسان من الارض احياء بعض الاموات و اخراجهم من قبورهم ، و هذا اظهر من حمل الاية على خلق انسان ابتداء .

و قوله تعالى " ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون " مقول قول هذه الدابة فيكون ضمير آياتنا راجعاً اليها فهي تقول حين تخرج " ان الناس الاية " يعني ان هذا الانسان الخارج من الارض يقول . ان الناس كانوا ينكرون الايات و البراهين الدالة على ثبوت حقنا فيعلم ان هذه الدابة شخص كان مدعيا لمقام و منصب وشيء خطير كان الناس كلهم مامورين بالايمان به ، و كانت لهذه الدعوى آيات و براهين فلم يقبلها اكثر الناس الى ذالك اليوم ، و لذا يقول يومئذ " ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون " .

و لاينطبق هذا الا بما ورد في رواياتنا من ان المراد بدابة الارض اميرالمومنين (ع) و انه يرجع الى وجه الارض ، و يفرق بين المؤمن والكافر ، بان يختم على جبهة المومن " هذا مؤمن حقا " و يختم في جبهة الكافر " هذا كافر حقا " الى غير ذالك من الروايات الواردة في موضوع دابة الارض .

قال الشيخ محمد فهيم ابوعبيته رئيس لجنة الازهر الشريف بلبنان في مقام التعليق على كلام ابن كثير في هذه الآية بهذه العبارة لما ذا لايكون تكليم الدابة للانسان بلسان الحال لابلسان المقال؟ و ان من معاني التكليم التجريح الى ان قال و لعل المراد بالدابة تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالانسان و جسمه و صحته وباموالة زروعا و ثمارا و مواشي جزاء على بعض ما تجنى يداه من اثم و نكر وقصاصا على بعض تعديه لحدودالله و ما شرع لعباده والجراثيم الضارة الشديدة الخطورة منتشرة في كل مكان تكاد تغطي مساحة الارض و تملأ طبقات الجو و هي تجرح و تقتل و من تجريحها و اذاها كلمات واعظة للناس لوكانت لهم قلوب ترجع بهم الى الله و دينه و تلزمهم المحجة التي ضلوا عنها و تركواها وراءهم ظهريا و لسان الحال ابلغ من لسان المقال ، و حمل صحاح الاحاديث النبوية و تفسير الآيات القرآنيه الكريمة بما يناسب الواقع ويواكب المنطق و يتصق و فطرة الحياة اولى من السبح في اجواء الخيال "

اقول . الذي يمنع من قبول ماذكره امور

١ــ قد ذكر كلمة و كلّم و تكلم و كلام و مشتقاتها في القرآن في اثنين و خمسين

موردا كلها بمعنى التلفظ والتكلم الصوتي لابمعنى الجراحة و مشتقاتها و هكذا في الحديث وكلام العرب لم يستعمل بمعنى الجرح الا نادرا لوثبت فلا يمكن حمل كلام الله على المعنى الشاذ الذى لاظهور فيه.

٢ـ هذا المعنى مخالف لمضمون الاية نفسها فانها تصرح بان الدابة تخرج عند وقوع القول عليهم يعنى بعد انقطاع التكليف كما فسرناه سابقا و صرحت به الروايات مع ان المعنى الذى ذكره موجود في زماننا بل كل زمان كما اعترف هوبه

٣ـ ظاهر الاية ان يكون ضمير " فا في آياتنا " راجعة الى الدابة و يكون مفادها ان الدابة تكلمهم فتقول " ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون "

و ما ادرى ولا المنجم يدرى ما الذى يريد من الواقع و فطرة الحياة و ما مراده من اجواء الخيال ولعله يرى كل امر فيه نوع من الغرابة من الاعجاز والامور الخارجة عن النواميس الطبيعية المعهودة مخالفا للمنطق والعلم والواقع والحياة و داخلا فى اجواء الخيال.[1]

ولذا انكر فى ص ٧١ حياة المسيح و فى ص ٤٢ وغيره انكر ان يكون المهدى شخصا خارجيا يفعل ما ذكر فى الروايات وادعى ان المراد بالمهدى فظهوره رمز الى انتصار دعوة الحق على نزعات الباطل و شروره.

و ان الدجال رمز الى الشر و استعلائه و صولة جبروته الى آخر ما ذكره و هكذا جرى فى جميع ماجرى عليه فى الروايات من الامور الخارقة للعادة او بعض القوانين الطبيعية فانكرها او تشكك فيها ولكن ما ادرى ماذا يقول فى احياء الاموات يوم القيامة هل ينكرها اويأولها اوماذا يصنع ؟ نعم نعم مايقول تبارك و تعالى " بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله " و قال رسول الله (ص) " الانسان عدوماجهله "

" و قد روى ابن كثير عن ابن جريج اليهودى عن ابى الزبير قال ـ فى دابة الارض ـ رأسها رأس ثور، و عينها عين خنزير، و اذنها اذن فيل، و قرنها قرن ايل، و عنقها عنق نعامة، و صدرها صدر اسد، و لونها لون نمر، و خاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا. تخرج معها عصى موسى، و خاتم سليمان، فلايبقى مؤمن الا و يكتب فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشوتلك النكتة، حتى يبيض لها وجهه ولايبقى كافر الا و يكتب فى وجهه نكتة سوداء

١ـ نهاية البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٠

بخاتم سليمان فتفشوتلك النكته حتى يسود لها وجهه حتى ان الناس يبايعون في الاسواق فيقولون بكم ذايا مومن؟ بكم ذا يا كافر ؟ و حتى ان اهل البيت ليجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم و كافرهم ، ثم تقول لهم الدّابة. يا فلان ابشر انت من اهل الجنة ، و يا فلان انت من اهل النار فذلك قول الله تعالى و اذا وقع القول الاية"[1]

و قد علق عليه الشيخ ابوعبية بقوله " ماينبغى حمل آيات الله على هذه الترهات والاباطيل وقرن، تفسيرها بها و قد سبق تفسيرها بما يلائم روح الدين و العقل والمنطق ومصلحة الانسان و طبيعة الحياة"

اقول . ما كنت احسب ان ابن جريج و كعب الاحبار و عبدالله ابن عمرو ابن العاص و غيرهم من ابطال الاسرائيليات يتدخلون فى الملاحم والامور المستقبلة و يخبرون عن الغيب بهذه الصراحة بل كنت احسب ان بلائهم و افترائهم تختص بما مضى من قصص الانبياء و الملوك والامم حتى رأيت امثال هذه الاحاديث فعلمت مبلغ ما حصل للمسلمين من الخسارة من جهة هولاء القصاصين .

و كيفكان فلو ان مصوّرا صور ماذكره من الدابة المركبة من دواب كثيرة لرأيت ان الله تعالى اعظم شأنا من ان يخلق هذه الدابة فضلا ان يجعل على عهدته تمييز المؤمن من الكافر و يجعله قسيم الجنه و النار و يعطيه عصا موسى و خاتم سليمان سبحانك هذا بهتان عظيم .

روى ابن كثير فى كتاب النهاية فى تفسير قوله تعالى " يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا " الايه[2]

عن ابى عيسى الترمذى عن عبد ابن حميد عن يعلى ابن عبيد عن فضيل ابن غزوان عن ابى حازم عن ابى هريرة عن النبى (ص) قال

ثلث اذاخرجن لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا . الدجال ، والدابة ، و طلوع الشمس من المغرب او من مغربها ثم قال هذا حديث حسن صحيح .

اقول النظر فى صدرالاية يقتضى ان يكون المراد ببعض الايات من سنخ ما ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك او ياتى بعض آيات ربك الآية و عليه فجعل الدابة و طلوع الشمس من مغربها من علائم انقطاع التكليف صحيح و قد ورد فى روايات متواترة بل بالنسبه الى دابة الارض يستفاد الحكم من قوله تعالى

۱ــ نهاية البداية والنهاية ج۱ ص ۱۹۵ طبع رياض

۲ــ الانعام الاية ۱۵۸

" واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض الايه "[١]

و بالنسبه الى طلوع الشمس من المغرب يستفاد من الروايات و من سنخ الاية فان للاية السماوية العظيمة بهذه المثابة من سنخ ايتان الملائكة و خروج دابة من الارض فى ظهور قدرة الله و عظمته بحد يشبه الالجاء والاضطرار الخارج عن للاختيار و معه لاينفع اظهار الايمان لانه ليس بايمان بالغيب .

و اما خروج الدجال فهو من جملة الامتحانات التى يبتلى به الناس فى مقابل دعوة الحق فيكون الناس قسمين قسم ينحازون الى جماعة المهدى باختيارهم و قسم ينحازون الى جماعة الدجال باختيارهم فيعلم ان الامر لم يصل الى حد الالجاء حتى يظهر الكافر الايمان خوفا فلاينفع نفسا ايمانها بل الامر بالعكس بمعنى ان قدرة الدجال و زخارفه و امواله اكثر و اظهر فلايكون ظهوره سببا لانقطاع التكليف .

و ايضا فانه سابق على المهدى (عج) مع ان التكليف باق الى آخر زمن المهدى .

٤ ــ قوله تعالى و حرام على قريه اهلكناها انهم لايرجعون حتى اذا فتحت يأجوج و مأجوج و هم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين [٢]

الاية الكريمة تخبرنا بانه بعد فتح يأجوج و مأجوج يقترب الوعد الحق ،فتقتضى ان يكون فتحهم قبل يوم القيامه بقليل ، فيكون بين عالم الرجعة و بين يوم القيامة .

و معنى قوله تعالى " و هم من كل حدب ينسلون " انهم يصعدون المرتفعات والكرات المحدبات من الاجسام بسرعة ، و ذلك اما لقوة ابدانهم ، او لكونهم مجهزين بالوسائل والمخترعات التى يتمكنون بها من سرعة الحركة الى جهة الفوق مثل الطيارات والصواريخ و غيرها ، و عليه فيحتمل ان يراد بالحدب مطلق الفوق اوالجسم الكروى المحدب الموجود فى الفضاء مثل الكرات الجوية

روى ابن كثير عن كعب الاحبار عند قوله تعالى " حتى اذا فتحت يأجوج و مأجوج "[٣] ان اول ظهور ذى السويقتين فى ايام عيسى بن مريم (ع) و ذلك بعد هلك يأجوج و مأجوج فيبعث اليهم عيسى (ع) طليعة مابين السبعمأة الى الثمانمأة فبينماهم

١ــ النحل ٨١

٢ــ الانبياء ٩٦

٣ــ الانبياء ٩٦

يسيرون اليه اذ بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض بها روح كل مؤمن ، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتساقد البهائم ، ثم قال كعب . و تكون الساعةقريبا حينئذ .

اقول . اذا كان لايعلم الغيب الاالله او من علّمه الله فمن اين علم كعبالاحبار اليهودى الذى لم ير النبى (ص) ولااتصل بمعصوم آخر هذه التفاصيل الا انتكون مصلحة مدرسة الخلفا تقتضي ان تعين كعب و اشباهه لتعليم الناس فى مقابل اهل البيت ،فلابد ان يتكلم بشىء ولوكان كذبا محضا و تخرصا على الغيب كما يقول تعالى و يقذفون بالغيب من مكان بعيد .

خاتمة

في ذكر خمسة عشر حديثا انتخبته من كتاب بحار الانوار من المجد الثاني والخمسين والثالث والخمسين من اخبار الملاحم التي وردت في تفسير او تأويل بعض الايات ولم اقصد الاعتماد بل اردت التيمّن والتبرّک بذكرها والله الموفق.

١ـ روى المجلسي عن العياشي عن علي ابن ابيحمزه عن ابي الحسن (ع) موسى (ع) في قوله عزوجل "سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم"[١] قال الفتن في آفاق الارض والمسخ في اعداء الحق[٢]

٢ـ روى العياشي ايضا بسنده عن ابيجعفر (ع) في قوله تعالى "ان نشاء ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين"[٣]

قال سيفعل الله ذلک بهم قلت. من هم؟ قال بنوامية و شيعتهم قال. قلت. و ما الاية؟ قال ركود الشمس من بين زوال الشمس الى وقت العصر وخروج صدر رجل و وجه في عين الشمس يعرف بحسبه و نسبه، و ذلک في زمان السفياني و عندها يكون بواره و بوار قومه.[٤]

٣ـ روى في البحار عن الاختصاص عن سعد عن ابن يزيد و ابن ابي الخطاب و

١ـ فصلت ٥٣

٢ـ البحار ج ٥٢ ص ٢٢١

٣ـ الشعراء ٤

٤ـ البحار ج٥٢ ص ٢٢١

١٣٠ ـــ

اليقطين وابراهيم ابن محمد جميعا عن ابن ابيعمير عن ابن آذنيه عن محمد ابن الطيار عن ابى عبدالله (ع) في قول الله عزوجل " ويوم نخشر من كل امة فوجا "[1] فقال ليس احدمن المومنين قتل الاّ سيرجع حتى يموت ، ولا احد من المؤمنين مات الاسيرجع حتى يقتل[2]

٤ـ و روى في البحار ايضا عن الاختصاص عن سعد عن ابن عيسى عن الاهوازى عن حماد ابن عيسى عن الحسين ابن المختار عن ابى بصير قال قال لى ابوجعفر (ع) ينكر اهل العراق الرجعه؟ قلت . نعم ، قال . اما يقرؤن القرآن " و يوم نحشر من كل امة فوجا "[3]

٥ـ روى عن على ابن ابراهيم عن ابيعبدالله (ع) عن قوله " و يوم نخشر من كل امة فوجا " قال مايقول الناس فيها ؟ قلت يقولون . انها فى القيامة ، فقال ابوعبدالله ايحشرالله يوم القيامة من كل امة فوجا و يترك الباقين؟ انما ذلك في الرجعة فاما آية القيامة فهذه " وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا الى قوله موعدا "[4ـ5]

٦ـ البحار عن تفسير القمى عن ابيه عن ابن ابيعمير عن ابن مسكان عن ابى عبدالله (ع) قال . مابعث الله نبيا من لدن آدم فهلم جرا الا ويرجع اليناوينصر اميرالمومنين (ع) و هو قوله " لتؤمنن به "[6] يعنى برسول الله (ص) " ولتنصرنه " اميرالمومنين[7]

٧ـ روى المجلسى عن على بن ابراهيم عن ابى الجارود عن ابيجعفر (ع) فى قوله " قل أرأيتكم ان اتيكم عذابه بياتا " يعنى ليلا " اونهارا ماذا يستعجل منه المجرمون "[8] فهذا عذاب ينزل فى آخر الزمان على فسقة اهل القبلة و هم يجحدون نزول العذاب عليهم[9]

١ـ النمل ٨٣

٢و٣ ـ البحار ج٥٣ ص ٤٠

٤ـ كهف ٤٧

٥ ـ البحار ج ٥٣ ص ٥١

٦ ـ آل عمران ٨٣

٧ـ البحار ج٥٣ ص ٥٠

١ـ يونس ٢٤

٩ـ البحار ج٢ ص ١٨٥

٨ـ و روى المجلسي ايضا عن ابيجعفر (ع) في قوله تعالى " و لو ترى اذ فزعوا فلافوت " قال من الصوت و ذلك الصوت من السماء و قوله " و اخذوا من مكان قريب "قال من تحت اقدامهم خسف بهم [1]

٩ـ روى المجلسي عن تفسير علي ابن ابراهيم عن ابي الجارود عن ابيجعفر في قوله تعالى " ان الله قادر على ان ينزل آية" و سيريك في آخر الزمان آيات منها دابة الارض ،والدجّال ، و نزول عيسى ابن مريم ، و طلوع الشمس من مغربها . [2]

١٠ـ و عنه عن ابيجعفر (ع) في قوله " قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم "[3] قال هو الدجال والصيحة" او من تحت ارجلكم " وهو الخسف" او يلبسكم شيعا " و هو اختلاف في الدين و طعن بعضكم على بعض " و يذيق بعضكم باس بعض" و هو ان يقتل بعضكم بعضا و كل هذا في اهل القبلة [4]

١١ـ و روى المجلسي ايضا عن ابيجعفر (ع) قال يخرج القائم فيسير حتى يمر بمر فيبلغه ان عامله قد قتل فيرجع اليهم فيقتل المقاتلة ولايزيد على ذلك شيئا ثم ينطلق فيدعوالناس حتى ينتهي الى البيداء فيخرج جيشان للسفياني فيامر الله عزوجل الأرض ان تأخذ باقدامهم و هو قول الله عزوجل " ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوامن مكان قريب و قالوا آمنا به ـ يعني بقيام القائم ـ و قد كفروا به من قبل ـ يعني بقيام آل محمد صلى الله عليهم ـ و يقذفون بالغيب من مكان بعيد ـ الى قوله ـ في شك مريب " [5]

١٢ـ روى المجلسي عن غيبة النعماني عن ابن عقدة عن محمد ابن المفضل عن ابن فضال عن ثعلبة عن معمر ابن يحيى عن داود الدجاجي عن ابيجعفر (ع) قال . سئل اميرالمومنين (ع) عن قوله تعالى " فاختلف الاحزاب من بينهم [6] فقال . انتظروا الفرج

١ـ البحار ج ٥٢ ص ١٨٦
٢ـ الانعام ٣٧
٣ـ البحار ج٥٢ ص ١٨١
٤ـ الانعام ٦٥
٥ ـ البحار ج٥٢ ص ١٨٢
٦ ـ مريم ـ ٣٧

١٣٢ ـــ

من ثلث فقلت . يا اميرالمومنين و ماهن؟ فقال . اختلاف اهل الشام بينهم و الرايات السود من خراسان و الفزعة في شهر رمضان فقيل . و ما الفزعة في شهر رمضان؟ فقال اما سمعتم قول الله عزوجل في القرآن ان نشاء ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين "[1] آية تخرج الفتاة من خدرها ولو قطّ النائم و تفزع اليقظان [2]

١٣ـ و عن البحار عن غيبة النعماني عن ابن عقدة عن احمد ابن يوسف عن ابن مهران عن ابي حمزة البطائني عن ابيه و وهيب عن ابي بصير قال سئل ابوجعفر الباقر (ع) عن تفسير قوله الله عزوجل " سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم المسخ و يريهم في الافاق انتقاض الآفاق عليهم فيرون قدرة الله في انفسهم و في الافاق فقوله "حتى يتبين لهم انه الحق يعني بذلك خروج القائم هو الحق من الله عزوجل يراه هذا الخلق لابد منه البحار ج ٥٢ ص ٢٤١

١٤ـ و عن البحار عن غيبة النعماني عن ابن عقدة عن علي ابن الحسين عن علي ابن مهزيار عن حماد ابن عيسى عن الحسين ابن المختار عن ابي بصير قال قلت لابيعبدالله (ع) قوله عزوجل " عذاب الخزي في الحياة الدنيا و في الاخرة " ما هو عذاب خزي الدنيا قال واي خزي يا ابابصير اشد من ان يكون الرجل في بيته و حجاله و على اخوانه وسط عياله اذ شق اهله الجيوب عليه و صرخوا، فيقول الناس ما هذا فيقال مسخ فلان الساعة فقلت قبل قيام القائم او بعده؟ قال لابل قبله البحار ج٥٢ص ٢٤٢

١٥ـ قال ابوعبدالله (ع) لابد ان يكون قدام القائم سنة تجوع فيها الناس، و يصيبهم خوف شديد من القتل ، و نقص من الاموال والانفس والثمرات ، فان ذلك في كتاب الله لبين ، ثم تلاهذه الاية " و لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين "[1و2]

١ـ الشعراء ٤

٢ـ بحارالانوار ج٥٢ ص ٢٣٠

١ـ البقرة ١٥٥

٢ـ بحارالانوار ج٥٢ ص ٢٢٩

فهرس مصادر الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الارشاد	للشيخ المفيد ره
الافصاح	" " " " " "
اسئلة القرآن المجيد	للشيخ ابي بكر الرازي
الاسرائيليات	للدكتور رمزي نعناعه
الانتصار	للباقلاني
البرهان	للسيد المحدث البحراني
البيان	للسيد الخوئي دام ظله
بحار الانوار	للعلامه المجلسي ره
تلخيص الشافي	للشيخ الطوسي ره
التبيان	" " " " " " " " ره
تنقيح المقال	للمامقاني ره
التفسير والمفسرون	
تنزيه القرآن	للقاضي عبدالجبار
تاريخ ايران القديم	للبيرنيا
تاريخ ابن عساكر	
جامع البيان	للطبري
الدر المنثور	للسيوطي
روح البيان	للالوسي
سفينة البحار	للمحدث القمي ره
الشافي	للسيد المرتضى ره
الغدير	للاميني ره
الكافي	للكليني ره
اللآلي المصنوعة	للسيوطي
لسان العرب	لابن منظور
الميزان	للعلامة الطباطبائي

مجازات القرآن	للسيد المرتضى ره
مجمع البيان	للطبرسي ره
متشابه القرآن	للقاضي عبد الجبار
مفاتيح الغيب	للفخر الرازي
الملاحم والفتن	للسيد بن طاووس
المذاهب الاسلاميه في	لجولد تسيهر
التفسير	للاشعري
مقالات الاسلاميين	للحويزي
نور الثقلين	لابن الاثير
نهاية البداية والنهاية	للصفوري
نزهة المجالس	للحر العاملي
الوسائل	
مجلة الهادي	

فهرست

العنوان	الصحيفه
مقدمه	٤
معنى الغيب	٧
الاخبار عن الغيب	٨
شبهه وجوابها	١٠
اسرائيليات فى الملاحم	١٦
مستقبل القرآن	١٧
مستقبل الاسلام	٢٣
مستقبل النبى الاعظم	٢٦
مستقبل على (ع)	٣١
مستقبل العترة (ع)	٤٠
مستقبل اصحاب النبى	٤٣
مستقبل بنى اميه	٤٨
مستقبل المسلمين	٥٢
مستقبل اهل الكتاب	٥٨
مستقبل اليهود	٦١
مستقبل حرب العرب مع اسرائيل	٦٧
مستقبل النصارى	٧٩
مستقبل الكفار والمنافقين	٨٢
الفرق الضاله من المسلمين	٨٧
مستقبل الفرقه الناجيه	٩٢
مستقبل العجم	٩٥
علائم الظهور	٩٨
دوله المهدى (ع)	١٠٧
عالم الرجعه	١١٥
اشراط الساعه	١٢٢
اخبار فى الملاحم	١٢٩
فهرس مصادر الكتاب	١٣٣
فهرس الكتاب	١٣٥

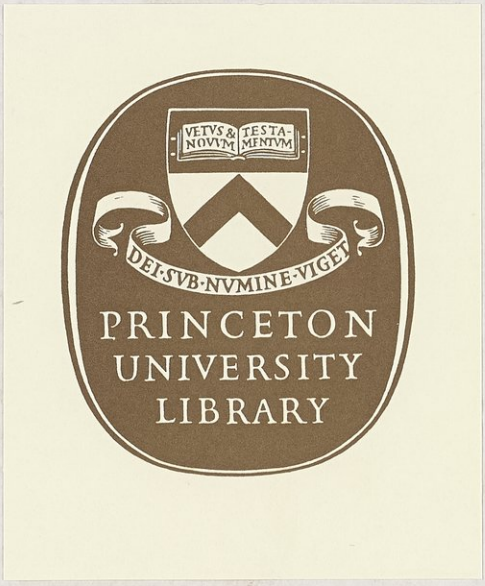
VETVS & NOVVM TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 057498659
BP130
.4
.A573
1980